## المبحث الأول

## تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما

### المطلب الأول: القضاء:

**١ـ تعريف القضاء لغة:** القضاء في اللغة مصدر الفعل قضى يقضي قضاءاً.

قال ابن فارس[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ في مادة (قضى): «القاف، والضاد، والحرف المعتل ـ

---

(١) ابن فارس: هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس، ولد في أوائل القرن الرابع الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراجم الأقدمين تاريخاً محدداً لميلاده، لكنه يدور حول ٣١٢هـ، أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥هـ على الرأي الصحيح، كما رجح ذلك العلامة عبدالسلام هارون رَحِمَهُ اللَّهُ، ولد بقزوين، ونشأ بهمذان، وكان أكثر مقامه في الري، لكن رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وقد أخذ عن كثيرين، أما علومه فكانت متنوعة شاملة، لاسيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف في فروعها، وشُهر بها، ودُعي بـ: اللغوي، وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك، أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين، وكان يحسن الشعر، وكان نقَّادة فيه، وكان ذات عقلية جبارة، وموهبة فذَّة مبتكرة، وقد شهد له بذلك كثير من القدامى والمحدثين.

وقد امتاز بأخلاق العلماء حقاً من ورع، وتواضع، وكرم، ولابن فارس مؤلفات عديدة كثيرة تزيد على الستين منها المجمل، والمقاييس، والصاحبي، وأصول الفقه، وأخلاق النبي ﷺ، وجامع التأويل في تفسير القرآن، وحلية الفقهاء.

انظر ترجمته في إنباه الرواة للقفطي ٢٩/٢، ويتيمة الدهر للثعالبي ٤٠٢/٣، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ٥٣٥/١ـ٥٤٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١١٨/١، ومقدمة معجم المقاييس لعبدالسلام هارون ٣/١ـ٣٧، ودراسات في المعاجم العربية د.أمين فاخر ص٨٣، ومقدمة كتاب الصاحبي ص٥ـ٩.

أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ سورة فصلت: ١٢.

أي أحكم خلقهن، ثم قال أبو ذؤيب الهذلي(١):

**وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو نَسَجُ السوابغ تبع(٢)**

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان.

وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق(٣).

**٢ـ إطلاقات القضاء في القرآن الكريم:** يطلق لفظ القضاء في القرآن إطلاقات عديدة منها(٤):

---

(١) هو خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد الهذلي، شاعر مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، له قصائد جياد، وشعره كله على نمط في الجودة وحسن السبك، قال ابن شبه: «تقدم ابو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه»، توفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير.

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٤٣٥ـ٤٣٧، وانظر معجم الأدباء ٣/٣٠٦ـ٣٠٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٩٩.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٤١ـ٤٤٢ وانظر المفردات لغريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣، وانظر لسان العرب لابن منظور ١٥/١٨٦، والقاموس للفيروزأبادي ص١٧٠٨.

(٤) انظر ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب ص٢٥٣، ص٣٠٦، ص٥٧٦، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٤١ـ٤٤٢ ومعجم مقاييس اللغة ٥/٩٩، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣ـ٤٢٤، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ص٥٠٩ـ٥١١، والوجوه والنظائر د. سليمان القرعاوي ص٥٢٩ـ٥٣٦.

**أ- الوصية والأمر:** قال الله - تعالى -: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ سورة الإسراء:٢٣، أي أمر وأوصى.

**ب- الإخبار:** قال - تعالى -: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ سورة الإسراء:٤.

**ج- الفراغ:** قال الله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ سورة البقرة: ٢٠٠.

وقال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاةَ ﴾ سورة النساء:١٠٣.

**د- الفعل:** قال - تعالى -: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ سورة طه: ٧٢.

**هـ- الوجوب والحتم:** قال - تعالى -: ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾.

وقال - تعالى -: ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ سورة يوسف:٤١.

**و- الكتابة:** قال - تعالى -: ﴿ وكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ﴾ سورة مريم: ٢١.

**ز- الإتمام:** قال - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ ﴾ سورة القصص:٢٩.

وقال - تعالى -: ﴿ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾ سورة القصص: ٢٨.

**ح- الفصل:** قال - تعالى -: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ سورة الزمر: ٦٩.

**ط- الخلق:** قال - تعالى -: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ سورة فصلت:١٢.

**ي- القتل:** قال - تعالى -: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ سورة القصص:١٥.

**المطلب الثاني: القدر:**

**١- القدر في اللغة:** «مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدَرَاً، وقد تسكن دالُه»(١).

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٢٢.

قال ابن فارس رحمه الله في مادة (قدر): «قدر: القاف، والدال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه، ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا أي مبلغه، وكذلك القدَرُ، وقدَرْت الشيء أقدِره وأقدُره من التقدير»[١].

والقدَر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله -عز وجل- من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية أمر، والقَدَرُ كالقَدْر وجميعهما جمعهما: أقدار[٢].

والفرق بين القدر والتقدير - كما يقول أبو هلال العسكري[٣]- «أن التقدير

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥، وانظر ياقوتة الصراط ص٥٧٦، والنهاية ٢٣/٤.

(٢) انظر لسان العرب ٧٢/٥، والقاموس المحيط ص٥٩١.

(٣) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، المعروف بأبي هلال العسكري.

وقد أجمعت التراجم المختلفة على ذلك، كما اتفق الذين ترجموا له أنه ينسب إلى مدينة (عسكرمُكْرَم) من أعمال الأهواز.

وأبو هلال فارسي الأصل، ومع كثرة مؤلفاته وحسن تصانيفه إلا أن المراجع التي تحدثت عنه لم تذكر السنة التي ولد فيها، ولا التي مات فيها على وجه التحديد والإجماع.

وبعض الذين ترجموا له استنتجوا أنه ولد سنة٣١٠هـ على وجه التقريب، وأما وفاته فمنهم من قال: إنه توفي عام٣٩٥هـ، وهم الأكثر، ومال القفطي إلى أنه عاش حتى بعد سنة ٤٠٠هـ.

ويعزى خمول ذكره - مع طول باعه واتساع علمه - إلى أسباب لعل جلَّها يعود إلى غلبة شهرة أستاذه أبي أحمد العسكري الذي يحمل الاسم ذاته، واسم الأب، والنسبة، مما أثر سلباً على التلميذ.

=

يُستعمل في أفعال العباد ولا يُستعمل القدر إلا في أفعال الله ـ عز وجل ـ»[١].

**٢ـ إطلاقات القدر في القرآن الكريم:** يطلق القدر في القرآن عدة إطلاقات منها[٢]:

**أـ التضييق:** قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ سورة الفجر:١٦.

**بـ التعظيم:** قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ سورة الأنعام:٩١.

**جـ الاستطاعة، والتغلب، والتمكن:** قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ سورة المائدة:٣٤.

**دـ التدبير:** قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ سورة المرسلات:٢٣، أي دبَّرنا الأمور، أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا.

---

= ولأبي هلال مؤلفات كثيرة في الحديث، والتفسير، والتاريخ، واللغة، والأدب.

ومنها: كتاب التلخيص، وجمهرة الأمثال، والأوائل، وديوان المعاني، والصناعتين، والفروق اللغوية، والمعجم في بقية الأشياء، ورسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة، وغيرها من الكتب.

ومنها كتاب الحث على طلب العلم، والاجتهاد في جمعه.

انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١٧٧/٦، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٣٣/٨، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٨/١٢، ومقدمة كتاب الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال تحقيق د.مروان قباني ص٧ـ١١.

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٢٨.

(٢) انظر ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص٥٧٦، والمفرادت في غريب القرآن ص٤١٠ـ٤١٣، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية ص٤٩٥ـ٤٩٦.

**هـ تحديد المقدار، أو الزمان، أو المكان:** قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ سورة سبأ: ١٨، وقال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ سورة فصلت: ١٠.

**و ـ الإرادة:** قال ـ تعالى ـ: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ سورة القمر: ١٢، أي دبِّر، وأريد وقوعه.

**ز ـ القضاء والإحكام:** قال ـ تعالى ـ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ سورة الواقعة: ٦٠.

أي قضينا، وحكمنا.

**ح ـ التمهل والتَّروي في الإنجاز:** قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ سورة المدثر: ١٨، أي تمهَّل، وتروَّى؛ ليتبين ما يقوله في القرآن.

وقال: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ سورة سبأ: ١١.

أي تمهلْ، وتروَّ في السرد؛ كي تحكمه.

**ط ـ الصنع بمقادير معينة:** قال ـ تعالى ـ: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ سورة الإنسان: ١٦.

**المطلب الثالث: العلاقة بين القضاء والقدر:**

من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة وبيان إطلاقاتهما في القرآن يتبين مدى العلاقةِ بينهما، والعلاقةِ بين المدلول اللغوي والشرعي ـ كما سيأتي ـ.

فكلٌّ مِن القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام

الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء.

ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك.

ولهذا سيكون التعريف الشرعي شاملاً للقضاء والقدر، ثم بعد ذلك يكون الحديث عن الفروق بينهما.

**المطلب الرابع: القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي:**

هناك بعض ممن تطرق لتعريف القضاء والقدر يعرفه ببعض أفراده أو بعمومه دون تفصيل، أو إشارة إلى مراتبه وأركانه.

فهذا الجرجاني[١] رحمه الله يعرف القدر فيقول:

«القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء.

والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال»[٢]

وقال رحمه الله في تعريف القضاء: «القضاء لغة: الحكم.

---

(١) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالشريف (٧٤٠هـ-٨١٦هـ)، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩ خرج الجرجاني إلى سمرقند ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي.

له نحو خمسين مصنفاً، منها التعريفات، وشرح مواقف الإيجي، وتحقيق الكليات، وغيرها.

انظر الأعلام للزركلي ١٥٩/٥-١٦٠.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٧٤.

**وفي الاصطلاح:** عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد(١)» (٢).

وهذا التعريف صحيح، ولكن ينقصه الشمول، واستيعاب جميع الأفراد؛ وهي مراتب القدر الأربع.

ويمكن أن يعرف القضاء والقدر بأحد التعريفات التالية:

أـ هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ـعز وجلـ قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل، وعلم ـ سبحانه وتعالى ـ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـتعالىـ وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها» (٣).

بـ وعُرِّف بأنه: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمُه، واقتضته حكمته(٤).

وهو تعريف مختصر لطيف.

جـ هو تقدير الله ـ تعالى ـ للأشياء في القِدَم، وعلمه ـ سبحانه ـ أنها ستقع في

---

(١) الأزل: هو الشيء الذي لا بداية له، والأبد: هو الشيء الذي لا نهاية له.

أو يقال: الأزل: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب الماضي، والأبد: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب المستقبل. انظر التعريفات للجرجاني ص٧.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٧٧.

(٣) هذا تعريف السفاريني رحمه الله انظر لوامع الأنوار البهية ٣٤٨/١.

(٤) هذا تعريف الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله انظر كتابه رسائل في العقيدة ص٣٧.

أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.[(١)]

وهذا التعريف من أجمع التعاريف، وأشملها.

د ـ ويمكن أن يعرف القضاء والقدر تعريفاً مختصراً فيقال:

هو علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها.

**المطلب الخامس: الفروق بين القضاء والقدر:**

اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وفيما ذكر لشيء من ذلك:

١ـ قيل: «المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق كقوله ـتعالىـ: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ سورة فصلت:١٢، أي خلقهن.

فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء؛ فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[(٢)].

وقال الراغب الأصفهاني[(٣)] رحمه الله: «والقضاء من الله أخص من القدر؛ لأنه

---

(١) هذا تعريف الشيخ د. عبدالرحمن المحمود. انظر كتابيه: القضاء والقدر ص٣٩ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣١٠/٣.

(٢) لسان العرب ١٨٦/٥، والنهاية ٧٨/٤، وانظر الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٢٨.

(٣) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني أو الأصبهاني، أديب حكيم، وصاحب تصانيف منها: المفردات في غريب القرآن، وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومحاضرات الأدباء، وجامع التفاسير، وأفانين البلاغة، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/١٨، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٣٦/١، والأعلام للزركلي ٢٥٥/٢.

الفصل بين التقدير؛ فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع.

وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المُعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل»[(١)].

٢ـ وقيل العكس؛ فالقضاءُ هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدرُ هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق[(٢)].

قال الجرجاني رحمه الله: «والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها»[(٣)].

وقال مثل ذلك عند تعريفه للقضاء والقدر ـ كما مر ـ.

٣ـ أنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر؛ فهما مترادفان بهذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره[(٤)].

ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ أنهما إذا اجتمعا افترقا؛ بحيث يصبح لكل واحد

---

(١) المفردات ص٤٢٣ـ٤٢٤.

(٢) انظر القضاء والقدر د.عمر الأشقر ص٢٧.

(٣) التعريفات ص١٧٤.

(٤) انظر القضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود ص٤١.

منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة.

وإذا افترقا اجتمعا؛ بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر[١].

وبالجملة فالأمر يسير، والخلاف فيهما لا يترتب عليه شيء.

---

(١) انظر الدرر السنية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ١/٥١٢-٥١٣.

## المبحث الثاني

## أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

دلَّ على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان ـ الكتابُ، والسنةُ، والإجماعُ، والفطرةُ، والعقلُ، والحسُّ.

**أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:** الأدلة من القرآن الكريم على الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة جداً منها:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ سورة الأحزاب: ٣٨.

ومعنى هذه الآية: أن الله ـ عز وجل ـ قدَّر أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثواباً لأهل طاعته، وعقاباً لأهل معصيته، فلما قدَّره كتب ذلك وغيَّبه، فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب: أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة، فكان أمر الله الذي مضى، وفرغ منه، وخلق الخلق عليه قدراً مقدوراً(١).

٢ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ سورة القمر: ٤٩.

ومعنى الآية: أن الله ـ سبحانه ـ قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه

---

(١) انظر تفسير جامع البيان للطبري ١٢/١٥.

ـتعالى ـ وقدرته، وإرادته[١].

٣ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ سورة الحجر: ٢١.

وهذا عام في كل شيء، وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة[٢].

٤ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ سورة المرسلات: ٢٢ـ٢٣

٥ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ سورة طه: ٤٠.

٦ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ سورة الفرقان: ٢.

٧ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ سورة عبس: ١٩.

٨ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ سورة الأعلى: ٣.

٩ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ سورة الأنفال: ٤٢.

١٠ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ سورة الإسراء: ٤.

**ثانياً: الأدلة من السنة:** لقد تظافرت الأدلة من السنة المطهرة على الإيمان بالقضاء والقدر، ومنها:

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن لابن العربي ١٤٨/١٧.

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٢/٤.

١ـ قال ﷺ كما في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

٢ـ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٢].

٣ـ روى مسلم في الصحيح عن طاووس[٣] قال: «أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجز والكيْس، أو الكيس والعجز»[٤].

٤ـ قال ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل»[٥].

---

(١) رواه مسلم(٨).

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٤) وقال: «وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون، وعبدالله بن ميمون منكر الحديث، ولكن الحديث له شواهد تؤيده»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٢٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٣٩).

(٣) هو طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي، الحافظ، سمع من زيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه، روى عنه عطاء ومجاهد وجماعة من أقرانه، توفي سنة ١٠٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٥/٣٨ـ٤٩.

(٤) مسلم (٢٦٥٥)، ورواه مالك في الموطأ ٢/٨٧٩، ورواه أحمد في المسند، تحقيق: أحمد شاكر ٨/١٥٢ (٥٨٩٣).

(٥) رواه مسلم (٢٦٦٤).

هذا وسيمر بنا في غضون الكتاب أدلة كثيرة من الكتاب والسنة زيادةً على ما مضى.

**ثالثاً: الإجماع:** فقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، قال النووي[1] رحمه الله: «وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف ـ على إثبات قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ» [2].

وقال ابن حجر[3] رحمه الله: «ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله

---

(١) النووي: هو الشيخ الإمام يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام الحازمي العالم محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ، كان لا يضيع شيئاً من أوقاته، وكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف، فجمع شيئاً كثيراً، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله، فمما أكمله شرح مسلم، والروضة، والمنهاج، ورياض الصالحين، والأذكار، وتهذيب الأسماء واللغات، ومما لم يتمه «المهذب» الذي سماه المجموع، وصل فيه إلى باب الربا، فأبدع وأجاد وأحسن الانتقاد ـ كما يقول ابن كثير رحمه الله ـ كان صواماً زاهداً أماراً بالمعروف نهَّاءاً عن المنكر. انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٥٥.

(٣) هو الحافظ العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، توفي سنة ٨٢٥هـ، له المصنفات البارعة أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، والتقريب، وغيرها. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/٢٧١، والبدر الطالع للشوكاني ١/٧٨.

ـتعالى ـ» [(١)].

**رابعاً: دلالة الفطرة:** الإيمان بالقدر يتضمن ـ كما مرَّ ـ علم الله بالأشياء، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه.

وهذه الأمور معلومة بالفطرة.

وكذلك فإن الإيمان بالقدر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً، ولم ينكره إلا الشواذُّ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا قال ـ سبحانه ـ عن المشركين: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾ سورة الأنعام: ١٤٨ [(٢)].

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بيَّن ـسبحانهـ أن هذا هو شأنُ من كان قبلهم، فقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سورة الأنعام: ١٤٨.

وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف.

وهذا ما نجده مبثوثاً في أشعارهم كما مر في المقدمة، وكما في قول عنترة:

**يا عبلُ أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها** [(٣)]

---

(١) فتح الباري ٢٨٧/١١ وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٤/٣ـ٥٣٨ حيث نقل الإجماع على ذلك عن جمع غفير من السلف، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٥٩/٨، ٤٥٢، ٤٤٩.

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير ٧٩/٥.

(٣) ديوان عنترة، ص٧٤.

وكما في قول طرفة بن العبد :

فلو شاء ربي كنت قيسَ بن خالدٍ ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد[(١)]

وقول سويد بن أبي كاهل[(٢)] :

كتب الرحمنُ والحمد له سَعَةَ الأخلاقِ فينا والضَّلَعْ[(٣)]

وقول المثَقِّب العبدي[(٤)] :

فأيقنت إن شاء الإله بأنه سَيَبْلُغني أجلادُها وقصيدُها[(٥)]

وقول زهير:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

---

(١) شرح المعلقات العشر، للزوزني، ص١١٩.

(٢) هو سويد بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر ابن وائل بن قاسط، شاعر مقدم مخضرم، عاش في الجاهلية دهراً، وعُمِّر في الإسلام عمُراً طويلاً، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠هـ، قرنه أبو عبيد بطرفة، والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، وكان أبوه شاعراً. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٢٧٠-٢٧١، والمفضليات بتحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص١٩٠.

(٣) المفضليات للمفضل الضبي ص١٩٧.

(٤) هو عائذ الله بن حصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة ابن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر فحل قديم جاهلي، سُمِّي المُثقب لقوله في قصيدة له:

********** وثقَّبن الوصاوص للعيون

والوصاوص: البراقع. انظر المفضليات تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص١٤٩.

(٥) المفضليات ص١٥١.

**يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كتاب فَيُدَّخَرْ ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ**[١]

كما نجد ذلك ـ أيضاً ـ في خطبهم، كما في قول هانئ بن مسعود الشيباني[٢] في خطبته المشهورة في يوم ذي قار: «إنَّ الحذر لا يُنجي من القدر»[٣].

ولم يقل أحد منهم بنفيه إطلاقاً، كما صرح بذلك أحد كبار علماء العربية، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب[٤] رحمه الله بقوله: «لا أعلم عربياً قدرياً، قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟ قال: معاذ الله، ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام، وكلامهم كثير بيِّن، ثم أنشد:

**تجري المقادير على غرز الإبر ما تنفذ الإبرة إلا بقدر**

قال: وأنشد لامرئ القيس:

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٥.

(٢) هو هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني، من سادات العرب، وأبطالهم في الجاهلية، وهو الذي هاج القتال بين بني بكر وبين بني تميم وضبة والرباب (يوم ذي قار)، وهو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وللشعراء قصائد كثيرة في وصف هذا اليوم. انظر الأعلام ٩/٥٢ـ٥٣.

(٣) الأمالي لأبي علي القالي ١/١٧١، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ١/٣٧ وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص٣٣.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء المشهور بثعلب، إمام الكوفيين في اللغة والنحو، كان مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، وكان ثقة حجة، له مصنفات منها: الفصيح المعروف بفصيح ثعلب، ومعاني القرآن، توفي سنة ٢١٩هـ. انظر الأعلام للزركلي ١/٢٦٧.

إن الشقاء على الأشقين مكتوب» [١].

وقال لبيد:

**إن تقـــوى ربِّنـــا خـــير نفـــل   وبــــإذن الله ريثـــــي وعجــــلْ**
**أحمــــد الله فـــلا نـــدَّ لـــه   بيديــه الخــير مــا شــاء فعــل**
**مــن هــداه سـبلَ الخـير اهتـدى   نـاعمَ البـال ومـن شـاء أضـل [٢]**

وقال كعب بن سعد الغنوي [٣]:

**ألم تعلمــي ألا يراخــي منــيتي   قعــودي ولا يــدني الوفــاة رحيلــي**
**مـع القـدرِ الموقـوفِ حتـى يصيبني   حِمـامي لـو آنَّ الـنفسَ غـيرُ عجـولِ [٤]**

**خامساً: دلالة العقل:** أما دلالة العقل فهي أن العقل الصحيح يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره، ومالكه، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٥٣٨/٣، وانظر ٧٠٤/٤ـ٧٠٥ من الكتاب نفسه.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٧٠٥/٤، وانظر شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه، لزكريا صيام، ص٩٥.

(٣) هو كعب بن سعد بن عمر بن عقبة بن عوف بن رفاعة الغنوي، يُقال له: كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال، قيل: إنه شاعر إسلامي، والظاهر أنه تابعي. انظر الأصمعيات شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص٧٣.

(٤) الأصمعيات، للأصمعي عبدالملك بن قريب ص٧٤.

حال بقائه وتطوره؟

فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا ما قد شاءه وقدَّره[١].

ومما يدل على هذا التقرير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ سورة الطلاق: ١٢.

ثم إن تفاصيل القدر لا ينكرها العقل، بل هي مما يتفق معه تمام الاتفاق، كما سيمر بنا قريباً.

**سادساً: دلالة الحس:** فنحن نشاهد ونسمع، ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر، وسيمر شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقدر، فالمؤمنون به على الوجه الصحيح هم أسعد الناس، وأصبرهم، وأشجعهم، وأكرمهم، وأكملهم، وأعقلهم.

ولو لم يكن الإيمان بالقدر حقاً لما حصل لهم ذلك.

ثم إن القدر «هو نظام التوحيد»[٢] كما قال ابن عباس ـرضي الله عنهماـ والتوحيد هو نظام الحياة، فلا تستقيم حياة الناس استقامة حقيقية إلا بالتوحيد،

(١) انظر الرياض الناضرة للشيخ عبدالرحمن السعدي ص١٩٤، ورسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين ص١١ـ١٥.

(٢) أخرجه الفريابي في كتاب القدر ص١٥٩ـ١٦٠، وانظر مجموع الفتاوى ١١٣/٣.

والتوحيد لا يستقيم إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

ثم إن فيما أخبرنا الله ورسوله ﷺ من أمور الغيب المستقبلية التي وقعت كما جاء في الخبر ـ دليلاً حسيًّاً واضحاً على أن الإيمان بالقدر حق وصدق[1].

---

(١) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق البدر ص٧٢ـ٧٣.

## المبحث الأول

## مراتب القدر وأركانه[1]، وخلق أفعال العباد

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تُسمى مراتب القدرأوأركانه، وهي المدخل لفهم باب القدر، ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيقها كلها؛ فبعضها مرتبط ببعض، فمن أقر بها جميعاً اكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص واحداً منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان هي:

١ـالعلم. ٢ـالكتابة.

٣ـالمشيئة. ٤ـالخلق.

وقد نظمها بعضهم بقوله:

**عِلْـمٌ كِتابـةُ مولانـا مشـيئَتُهُ وخَلْقُـهُ وهـو إيجـادٌ وتكـوينُ**

**المرتبة الأولى: العلم:** وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً،

---

(١) انظر تفاصيل الحديث عن هذه المراتب في العقيدة الواسطية مع شرحها، الروضة الندية، للشيخ زيدبن فياض، ص٣٥٣، والتنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ ابن سعدي مع تعليقات سماحة الشيخ ابن باز ٧٥ـ٨٠، وانظر شفاء العليل٦١ـ١١٦، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي ٢/٢٢٥ـ٢٣٨، وأعلام السنة المنشورة، للحكمي أيضاً ص١٢٦ـ١٢٩، ورسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين ص ٣٧، وتقريب التدمرية، لابن عثيمين، ص١٠٨ـ١٠٩، والقضاء والقدر، د. عمر الأشقر، ص٢٩ـ٣٦، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص١٥٠إلى١٥٦، وخلاصة معتقد أهل السنة، للشيخ عبدالله بن سليمان المشعلي ص٢٩ـ٣٠.

أزلاً، وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن، والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

وقد عَلِمَ جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار.

وهذه المرتبة ـ وهي العلم السابق ـ اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من هذه الأمة، وخالفهم مجوسُ هذه الأمة ـ القدرية الغلاة ـ[1].

والأدلة على هذه المرتبة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة جداً منها:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ سورة الحشر: **٢٢**.

أي عالم ما غاب من الإحساس وما حضر، وقيل: عالم السر والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون، وقيل: الآخرة والدنيا.

وقدم الغيب على الشهادة؛ لكونه متقدماً وجوداً[2].

---

(١) انظر شفاء العليل ص٦١.

(٢) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٥/٢٥١، ط دار الكتب.

٢ـ قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة : ٣٠.

قيل : إنه علم من إبليس المعصية ، وخلقه لها[١].

وقيل : كان علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة[٢].

٣ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ سورة الجاثية : ٢٣.

قال ابن عباس ـرضي الله عنهماـ : « علم ما يكون قبل أن يخلقه.

وقال ـ أيضاً ـ : على علم قد سبق عنده.

وقال ـ أيضاً ـ : يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب »[٣].

٤ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ سورة الأنعام : ٢٨.

فهذا إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى ، ولا يليق به ، وأن محله غير قابل له؛ فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته[٤].

---

(١) هذا القول لمجاهد بن جبر. انظر شفاء العليل ص٦١.

(٢) هذا القول لقتادة بن دعامة السدوسي. انظر شفاء العليل ص٦١.

(٣) انظر شفاء العليل ص٦٢.

(٤) انظر شفاء العليل ص٦٥.

**والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، ومنها:**

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سورة الأنعام : ٥٩.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ سورة التوبة : ٤٧.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ سورة الأنفال : ٣٢.

**وأما من السنة فمن ذلك ما يلي:**

١ـ روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سُئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» [(١)].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «قال ابن قتيبة[(٢)]: معنى قوله «الله أعلم بما كانوا عاملين»: أي لو أبقاهم؛ فلا تحكموا عليهم بشيء، وقال غيره: أي علم أنهم لا يعملون شيئاً، ولا يرجعون فيعملون، أو أَخْبَرَ بعلم شيء لو

(١) البخاري (٦٥٩٧).

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري، خطيب أهل السنة، من أئمة العلم والأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولي قضاء الدنيور مدة، فنُسب إليها، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ، ومن كتبه: تأويل مختلف الحديث، وتأويل مشكل القرآن، وأدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، والمعارف. انظر وفيات الأعيان ٢٥١/١، والأعلام ١٣٧/٤.

وجد كيف يكون مثل قوله ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا ﴾[(١)].

٢ـ قال ﷺ : «ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار»[(٢)].

**المرتبة الثانية : الكتابة :** وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب[(٣)]، التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين.

**والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة منها :**

١ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سورة الحج : ٧٠.

فما كتبه الله ـ عز وجل ـ وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه ـ عز وجل ـ[(٤)].

٢ـ وقال ـتعالىـ: ﴿ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ سورة يس ١٢.

قوله : «وكل شيء» أي من الأعمال والنيات وغيرها.

«أحصيناه في إمام مبين» أي في كتاب هو أم الكتاب، وإليه مرجع الكتب التي

---

(١) فتح الباري ٢٤٧/٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٧).

(٣) انظر شفاء العليل ص٨٩.

(٤) انظر شفاء العليل ص٧٤.

تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ[(١)].

٣ـ وقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ سورة التوبة: ٥١.

أي ما قدره الله، وأجراه في اللوح المحفوظ[(٢)].

٤ـ وقال ـ سبحانه ـ عن موسى ـ عليه السلام ـ دعاءه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ سورة الأعراف: ١٥٦.

أي من علم نافع، ورزق واسع، وعمل صالح[(٣)].

٥ـ وقال ـتعالى ـ عن محاجة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ سورة طه: ٥١ـ٥٢.

أي قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتابه، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علماً وخُبْراً؛ فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها[(٤)].

٦ـ وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ سورة الأنبياء: ١٠٥.

أي كتبنا في الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة كالتوراة ونحوها «من بعد

---

(١) انظر شفاء العليل ص٨٦، وتفسير السعدي ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ ٦/٣٣٧.

(٢) انظر تفسير السعدي ٣/٢٤٦.

(٣) انظر فتح القدير ٢/٣٠٦، وتفسير السعدي ٣/٩٨.

(٤) انظر تفسير السعدي ٥/١٦٣.

الذكر» أي كتبناه في الكتب المنزلة بعدما كتبنا في الكتاب السابق، وهو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه[١].

٧ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة الأنفال:٦٨.

أي سبق به القضاء والقدر أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله قد رفع عنكم ـ أيتها الأمة ـ العذاب «لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم»[٢].

**وأما السنة فمن ذلك ما يلي:**

١ـ روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[٣].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير؛ فإن ذلك أزلي لا أول له».

وقوله: «وعرشه على الماء» أي قبل خلق السماوات والأرض والله أعلم»[٤].

٢ـ قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله

(١) انظر شفاء العليل ص٨٤، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، ط دار الكتب العلمية ٤/٦١١ـ٦١٣، وتفسير السعدي ٥/٢٦٦ـ٢٦٧.

(٢) انظر تفسير السعدي ٢/١٩٠ـ١٩١.

(٣) مسلم (٢٦٥٣).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٢٠٣.

مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» [١].

**المرتبة الثالثة: المشيئة:** وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته.

«وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان» [٢].

والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جداً من الكتاب والسنة، منها:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ سورة القصص: ٦٨.

في هذه الآية دليل على عموم خلقه ـ تعالى ـ لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده ـ عز وجل ـ باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحداً ليس له من الأمر والاختيار شيء [٣].

٢ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة التكوير:,٢٩

(١) رواه البخاري (١٣٦٢ و ٤٩٤٥ و ٤٩٤٦ و ٦٢١٧ و ٧٥٥٢) ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) شفاء العليل ص٩٢.

(٣) انظر شفاء العليل ص٦٦، وتفسير السعدي ٦/٥٢.

٣ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سورة الكهف: ٢٣ـ٢٤

٤ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله﴾ سورة الأنعام: ١١١.

٥ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأنعام: ٣٩.

**ومن الأدلة من السنة ما يلي:**

١ـ قال ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصَرِّفه حيث يشاء»(١).

٢ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة ـ قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»(٢).

ومشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون؛ لعدم مشيئته له، لا لعدم قدرته عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة: ٢٥٣.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥)

(٢) رواه البخاري (٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧)

فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله ، ولكن لعدم مشيئته ذلك.

ومثله قوله ـتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ سورة الأنعام: ٣٥ ، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ سورة الأنعام: ١٠٧ ، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ سورة يونس:٩٩[١].

**المرتبة الرابعة: الخلق:** وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوْجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة[٢]، والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر، منها ما يلي:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة الزمر: ٦٢.

٢ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ سورة الأنعام:١.

٣ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ الملك:٢.

٤ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ سورة النساء: ١.

---

(١) انظر كتاب الصفدية، لابن تيمية ٢/١٠٩ ، وشفاء العليل ص٩٧ـ١٠٤.

(٢) انظر شفاء العليل ص١٠٨.

٥ـ وقوله ـتعالى ـ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ سورة الأنبياء: ٣٣.

٦ـ وقوله ـسبحانه ـ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ سورة فاطر: ٣.

**ومن الأدلة من السنة ما يلي:**

١ـ أخرج البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» (١).

٢ـ وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها» (٢).

والشاهد من ذلك قوله ﷺ «اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها...» فالفاعل هو الله ـ تعالى ـ فهو الذي يُطْلَب منه ذلك.

٣ـ عن ورّاد مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى عليَّ المغيرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص٢٥.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢)

أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[١].

والشاهد من ذلك قوله: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»، فالمعطي والمانع هو الله ـ تعالى ـ فهو الفاعل لذلك، وهذا يدل على أنَّ الخالق هو الله ـ عز وجل ـ[٢].

**مسألة خلق أفعال العباد:**

أفعال العباد داخلة في عموم خلقه ـ تعالى ـ ولا يخرجها شيء من عموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة الزمر: ٦٢، وإنما أفردت هنا لوقوع اللبس فيها.

**وخلاصة القول في هذه المسألة:** أن أفعال العباد كلَّها من الطاعات، والمعاصي، داخلةٌ في خلق الله، وقضائه، وقدره؛ فقد علم الله ـ عز وجل ـ ما سيخلقه في عباده، وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم، وهدى الله من كتب لهم السعادة، وأضل من كتب عليهم الشقاوة، وعلم أهل الجنة، ويسرهم لعمل أهلها، وعلم أهل النار ويسرهم لعمل أهلها.

فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله، وقدرته على كل شيء من الأعمال

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٥)

(٢) انظر «القضاء والقدر» د. عبدالرحمن المحمود ص٨٠.

والأوصاف، كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقةً للخير والشر، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة(١).

والنصوص التي مرت بنا في المرتبة الرابعة من مراتب القدر تدل على ذلك، وهناك أدلة أصرح في الدلالة على هذه المسألة كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الصافات: ٩٦.

قال المفسرون: في معنى ﴿ما﴾ في الآية وجهان:

«**أحدهما:** أن تكون بمعنى المصدر؛ فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم.

**والثاني:** بمعنى الذي؛ فيكون المعنى، والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام.

---

(١) انظر المسائل والرسائل، للإمام أحمد بن حنبل ١٤٧/١ـ١٥٠، والإبانة للأشعري ص١٠٧ـ١٣٠، ورسالة الثغر للأشعري ص٧٥، ٧٨، ٨٣، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة ص٢١ـ٢٣، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ص٢٧٩ـ٢٨٠، والفرق بين الفرق للبغدادي ص١١٥، وأصول الدين للبغدادي ص١٣٤ـ١٣٧، والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص٢٩٩ـ٣٠٠، والاعتقاد للبيهقي ٧٣وانظر لمعة الاعتقاد لابن قدامه ٢١، والنبوات لابن تيمية ص٤٣٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٨٥/١ـ٨٦، ومنهاج السنة ٢٩٨/٢، ١١٢/٣، ١٢٨، ١٢٩، وشفاء العليل ص١٠٨ـ١٤٠، وشرح قصيدة ابن القيم النونية لابن عيسى ١٣٥/٢، وانظر المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي ٦٥/٣، والقضاء والقدر، لعمر الأشقر ص٣٧، وانظر كتاب القاضي أبي يعلى وكتاب مسائل الإيمان، دراسة وتحقيقاً، لسعود بن عبدالعزيز الخلف، ص٩٨ـ٩٩، وانظر العقيدة الواسطية بتعليق الشيخ ابن مانع ص٥٠ـ٥١، ومعارج القبول ٢٣٨/٢ـ٢٤٠، والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ ابن جبرين ٦١ـ٦٤، ولمعة الاعتقاد بشرح ابن عثيمين ص٩٥.

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله»[١].

**وبعد بيان الحق في مسألة خلق أفعال العباد ينتهي الحديث في هذا المبحث عن مراتب القدر الأربع التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها.**

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٧٠/٧، وانظر جامع البيان، لابن جرير الطبري ٧٥/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥/٤، وانظر خلق أفعال العباد للبخاري ص٢٦، وشفاء العليل ص١١٥-١١٧.

## المبحث الثاني

## أقسام التقدير[(١)]

يمكن تقسيم التقدير باعتبار نسبته إلى الله ـ عز وجل ـ إلى خمسة أقسام، وهي كما يلي:

**١ـ التقدير العام:** وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لها.

ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سورة الحج: ٧٠.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[(٢)].

**٢ـ التقدير البشري**[(٣)]: وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة ص١٢٩ـ١٣٣، وتعليق سماحة الشيخ ابن باز على الواسطية ص٧٨ـ٨٠.

(٢) رواه مسلم: (٢٦٥٣).

(٣) يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عن هذا التقدير: «التقدير البشري داخل في التقدير العام؛ ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية، وأكثر أهل العلم فيما أعلم»؟

وأهل الشقاوة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة الأعراف: ١٧٢.

وعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أَتُبْدَأُ الأعمال أم قد قُضِيَ القضاء؟ قال رسول الله ﷺ: «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار؛ فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار» (١).

**٣ـ التقدير العمري:** وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته، أو سعادته.

وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المَلَك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بتحقيق الشيخ الألباني ٧٣/١، وقال الألباني: «إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، والسيوطي في الدر المنثور ٦٠٤/٣ وقال: أخرجه ابن أبي جرير والبزار والطبراني والآجري في الشريعة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات».

بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أو سعيدٌ» [(١)].

**٤ـالتقدير السنوي:** وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ويدل عليه قوله ـتعالىـ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ سورة الدخان: ٤، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سورة القدر: ٤ـ٦.

قيل: يكتب فيها ـ أي هذه الليلة ـ ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال: يحج فلان، ويحج فلان.

رُوي هذا عن ابن عمر، وابن عباس، وكذا الحسن وسعيد ابن جبير[(٢)(٣)].

**٥ـالتقدير اليومي:** ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سورة الرحمن: ٢٩.

قيل في تفسيرها: شأنه أن يُعزَّ ويُذِل، ويرفع ويخفض، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، ويُضحِكَ ويُبكي، ويُميت ويُحيي، إلى غير ذلك[(٤)].

---

(١) رواه البخاري(٣٢٠٨ و٣٣٣٢ و ٦٥٩٤ و ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وابن ماجه (٧٦).

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الإمام التابعي الحافظ المقرئ أبو محمد ويُقال: أبو عبدالله الأسدي الوالبي بالولاءِ الكوفيُّ أحد الأعلام، روى عن بعض الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ قرأ القرآن على ابن عباس وحدَّث عنه أبو صالح السمَّان وعطاء ابن السائب والزهري وخلق كثير، كان فقيهاً عابداً فاضلاً ورعاً وكان لا يدع أحداً يغتاب عنده، وكان يحرم في كل سنة مرتين مرةً للحج ومرةً للعمرة، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ، وعمره ٤٩سنة. انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/٤.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٠/٤، وفتح القدير للشوكاني ٥٧٢/٤، وانظر أعلام السنة المنشورة ص١٢٩ـ١٣٣.

(٤) انظر زاد المسير ١١٤/٨، وتفسير القرآن العظيم ٢٧٥/٤، وفتح القدير ١٣٦/٥.

## المبحث الثالث

## الإرادة الربانية

تنقسم الإرادة الربانية إلى قسمين:

**١ـ إرادة كونية قدرية:** وهي مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء؛ فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء؛ فالطاعات، والمعاصي، كلها بمشيئة الرب، وإرادته.

ومن أمثلتها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ سورة الرعد: ١١، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ سورة الأنعام: ١٢٥.

**٢ـ إرادة شرعية دينية:** وتتضمن محبة الربّ، ورضاه.

ومن أمثلتها قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ سورة البقرة: ١٨٥، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ سورة النساء: ٢٧، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ سورة المائدة: ٦[١].

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٣/١٥٦ـ١٥٧، والاستقامة ١/٤٣٣، وانظر تعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص٤١.

**الفرق بين الإرادتين**[1] : بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية فروق تُميز كلَّ واحدة منهما عن الأخرى ، ومن تلك الفروق ما يلي :

١ ـ الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها.

أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها؛ فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة.

٢ـ الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً ، وسائر الشرور؛ لتحصل بسببها محابّ كثيرة ، كالتوبة ، والمجاهدة ، والاستغفار.

أما الشرعية فمقصودة لذاتها؛ فالله أراد الطاعة وأحبها ، وشرعها ، ورضيها لذاتها.

٣ـ الإرادة الكونية لابد من وقوعها؛ فالله إذا شاء شيئاً وقع ولابد ، كإحياء أحد أو إماتته ، أو غير ذلك.

أما الشرعية كالإسلام ـ مثلاً ـ فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لابد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

٤ـ الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه ، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٣/١٨٠ـ١٨٣ ، ٥/٣٦٠ و٤١٣ و٤١٤ و٧/٧٢، ٧٣، وانظر شفاء العليل ص٥٥٧ ، ومدارج السالكين ١/٢٦٤ـ٢٦٨ ، وتنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ، للشيخ ابن سحمان ص٦١ـ٦٢ ، وتعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص٤١ ، وشرح الواسطية للهراس ص١٠٠ ، وشرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص٤٢ـ٤٣ ، والقضاء والقدر للأشقر ص١٠٦٢ ، والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ عبدالله بن جبرين ص٦٠ـ٦١.

٥ـ الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة ـ مثلاً ـ جمع بينهما؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها، ورضيها، وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، وكونها وقعت دلَّ على أنَّ الله أرادها كوناً؛ فهي كونية من هذا الوجه؛ فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدلُّ على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع ـ مع أمر الله بها ومحبته لها ـ هذا دليل على أنها شرعية فحسب؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع.

٦ـ الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر، وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

**هذه فوارق بين الإرادتين**، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شُبهات كثيرة، زلَّت بها أقدام، وضلَّت بها أفهام، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور[1].

---

(١) انظر الاستقامة لابن تيمية ٢/٧٨.

## نماذج لأمور شرعية وكونية:

كما أن الإرادة منها ما هو كوني قدري، ومنها ما هو شرعي ديني ـ فكذلك الكتابة، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والإيتاء، والكره، ونحوها، كل هذه الأمور منها ما هو شرعي ومنه ما هو كوني.

فمن أمثلة الكتابة الكونية قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ سورة المجادلة: ٢١، ومن أمثلة الكتابة الشرعية قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ سورة البقرة: ١٨٣، والأمر الكوني قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ سورة القمر: ٥٠، والشرعي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ سورة النحل: ٩٠، والإذن الكوني قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سورة البقرة: ١٠٢، والشرعي قوله: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ سورة يونس: ٥٩ وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ سورة الشورى: ٢١، والجعل الكوني قوله: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام: ١٢٥، والشرعي: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ﴾ سورة المائدة: ١٠٣، أما قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ سورة المائدة: ٩٧، فهذا يتناول الأمرين، فإن الله جعلها كذلك بقدره وبشرعه.

وكذلك الكلمات منها ما هو كوني كقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يونس: ٣٣، ومنها الشرعي كقوله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ سورة التوبة: ٦، واجتمع النوعان في قوله ـتعالى ـ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ سورة التحريم: ١٢، وكذلك البعث منه الكوني

كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا﴾ سورة الإسراء: ٥، والشرعي كقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ سورة البقرة: ٢١٣، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ سورة الجمعة: ٢، وكذلك الإرسال منه الكوني كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ سورة الأعراف: ٥٧، ومنه الديني كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ سورة الصف: ٩، والتحريم الكوني كقوله: ﴿وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ سورة القصص: ١٢، والشرعي: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ سورة المائدة: ٩٦، والإيتاء الكوني كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة البقرة: ٢٤٧، والديني كقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ سورة البقرة: ٩٣، وقوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة البقرة: ٢٦٩، يشمل النوعين؛ فإنه يؤتيهما أمراً وديناً وتوفيقاً وإلهاماً.

والكره ـ كذلك ـ منه ما هو كوني كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ سورة التوبة: ٤٦، ومنه ما هو شرعي كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ سورة الإسراء: ٣٨.

والفروق بين هذه الأمور ـ من جهة أن منها ما هو شرعي ديني، ومنها ما هو كوني قدري ـ كالفروق بين الإرادتين الكونية القدرية، والشرعية الدينية(١).

(١) انظر شفاء العليل صفحة ٥٥٨ـ٥٦٧.

## الفصل الأول

# مسائل في القدر

وتحته ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

**المبحث الثاني:** فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

**المبحث الثالث:** الاحتجاج بالقدر

## المبحث الأول

## الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

الإيمان بالقدر ـ على ما مرَّ ـ لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، فقد دل على ذلك الشرع والواقع.

**أما الشرع:** فالأدلة على ذلك كثيرة جداً ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ سورة النبأ: ٣٩، وقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ سورة البقرة:٢٢٣، وقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ سورة البقرة: ٢٨٦، وقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ سورة آل عمران: ١٣٣، وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف: ٢٩.

**أما الواقع:** فكل إنسان يعلم أن له مشيئةً، وقدرةً يفعل بهما ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته، كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش(١).

لكنَّ مشيئته، وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة التكوير:٢٨ـ٢٩.

---

(١) انظر منهاج السنة، لابن تيمية ١٠٩/٣ـ١١٢، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٤٥ و١٦٦ـ١٦٩، وانظر رسائل في العقيدة لابن عثيمين ٣٧ـ٣٨، والقضاء والقدر لابن عثيمين ١٥ـ١٧.

وتوضيح ذلك كما قال العلامة ابن سعدي(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئاً من المعاصي ـ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، والعمل السيِّئ.

وفعله المذكور ـ بلا ريب ـ واقع باختياره، وهو يحس ـ ضرورة ـ أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل.

وكما أن هذا هو الواقع، فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسولهﷺ حيث أضاف الأعمال صالحها، وسيِّئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة، ومثابون عليها، ومذمومون إذا كانت سيئة، ومعاقبون عليها.

فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحساً، وشرعاً، ومشاهدة.

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها ـ وإن كانت كذلك ـ واقعة منهم، كيف

---

(١) هو الشيخ العلامة المحقق أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي التميمي، ولد في عنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ، ترك جمعاً غفيراً من التلاميذ على رأسهم الشيخ محمد بن عثيمين والشيخ عبدالله بن بسام والشيخ عبدالعزيز السلمان ـ رحمهم اللهـ والشيخ عبدالله بن عقيل وغيرهم كثير، وترك مصنفات نافعة منها: تفسيره، وخلاصة التفسير، والقواعد الحسان، والفتاوى، وغيرها.

انظر «الشيخ عبدالرحمن السعدي مفسراً» للشيخ عبدالله بن سابح الطيار، و«علامة القصيم» للشيخ الدكتور عبدالله بن محمد الطيار، و«الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في العقيدة» للشيخ الدكتور عبدالرزاق العباد.

تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال:بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرُّها؟ فيقال: بقدرتهم، وإرادتهم.

والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال؛ فهذا الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر، والقضاء، والاختيار.

ومع ذلك فهو ـ تعالى ـ أمد المؤمنين بأسباب، وألطاف، وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: «وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة»(١).

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكلوا عليه، فولاَّهم ما تولوه لأنفسهم»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) التنبيهات اللطيفة ص٨٢ـ٨٣، وانظر لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص٢٢، وانظر شرح الواسطية، للهراس، ص٢٢٨، وانظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ص٢٣٩ـ٢٤٣.

## المبحث الثاني

## فعل الأسباب والإيمان بالقضاء والقدر

فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر.

«ولهذا يجب على العبد ـ مع الإيمان بالقدر ـ الاجتهادُ في العمل، والأخذ بأسباب النجاة، والالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ بأن ييسر له أسباب السعادة، وأن يعينه عليها» (١).

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة؛ فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدد لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ سورة الجمعة:١٠، وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ سورة الملك: ١٥، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ سورة الأنفال:٦٠، وأمر المسافرين للحج بالتزود، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ سورة البقرة: ١٩٧، وأمر بالدعاء والاستعانة، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ سورة غافر: ٦٠، وقال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ سورة البقرة: ٤٥.

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله الغنيمان ٦٢٩/٢.

وأمر باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه، وجنته، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

وحياةُ الرسول ﷺ وأصحابه، بل حياة المسلمين جميعاً، والسائرين على نهجهم ـ كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب، والجد، والاجتهاد[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «ويظن كثير من الناس أن إثبات الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا غلط فاحش جدّاً، وهو عائد على القدر بالإبطال، وهو إبطال ـ أيضاً ـ للحكمة.

وكأن هذا الظَّانَّ يقول ويعتقد أن الإيمان بالقدر هو اعتقاد وجود الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية، وهذا نفي للوجود لها، فإنها ـ كما ذكرنا ـ أن الله ربط الكون بعضه ببعض، ونظم بعضه ببعض، وأوجد بعضه ببعض، فهل تقول أيها الظَّان جهلاً: إن الأولى إيجاد البناء من دون بنيان؟ وإيجاد الحبوب، والثمار، والزروع من دون حرث وسقي؟ وإيجاد الأولاد والنسل من دون نكاح؟ وإدخال الجنة من دون إيمان وعمل صالح؟ وإدخال النار من دون كفر ومعصية؟

بهذا الظن أبطلت القدر، وأبطلت معه الحكمة، أما علمت أن الله بحكمته، وكمال قدرته جعل للمسببات أسباباً؟ وللمقاصد طرقاً ووسائل تحصل بها؟ وقرر هذا في الفطر، والعقول، كما قرره في الشرع، وكما نفذه في الواقع؛ فإنه أعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له من أصناف

---

(١) انظر القضاء والقدر، للأشقر ص٨٣ـ٨٤.

السعي، والحركة، والتصرفات المتنوعة، وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الذي شهد ـ أولاً ـ لله بكمال القدرة، وكمال الحكمة، وأشهد العباد ـ ثانياً ـ أن بهذا التنظيم، والتيسير، والتصريف وجّه العاملين إلى أعمالهم، ونشطهم على أشغالهم».

إلى أن قال رحمه الله: «فطالِبُ الآخرة إذا علم أنها لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وترك ضدِّها ـ جدَّ واجتهد في تحقيق الإيمان، وكثرت تفاصيله النافعة، واجتهد في كل عمل صالح يوصله إلى الآخرة، واجتنب في مقابلة ذلك الكفر، والعصيان، وبادر للتوبة النصوح من كل ما وقع منه من ذلك.

وصاحب الحرث إذا علم أنه لا يُنَال إلا بحرث وسقي وملاحظة تامة جد واجتهد في كل وسيلة تنمي حراثته، وتكملها، وتدفع عنها الآفات.

وصاحب الصناعة إذا علم أن المصنوعات على اختلاف أنواعها، ومنافعها لا تحصل إلا بتعلم الصناعة، وإتقانها، ثم العمل بها جد في ذلك.

ومن أراد حصول الأولاد، أو تنمية مواشيه عمل وسعى في ذلك، وهكذا جميع الأمور»[١].

---

(١) الرياض الناضرة، ١٢٥ـ١٢٦، وانظر شفاء العليل ص٥٠ـ٥٣ والشيخ عبدالرحمن ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة د. عبدالرزاق العباد من ٨٦ـ٨٩، وانظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لابن سعدي ص١٢، والقضاء والقدر لأبي الوفاء محمد درويش ص٥٣ـ٦١، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن الدوسري ص١١٨ـ١٢٤، والتوكل على الله وعلاقته بالأسباب د. عبدالله بن عمر الدميجي ص١٦٣ـ١٩٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا ترك العبد ما أُمِرَ به متكلاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شَقِيًّاً، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا آكل، ولا أشرب؛ فإن كان الله قضى بالشبع والريِّ حصل، وإلا لم يحصل، أو يقول: لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد، فإنه يكون.

وكذلك من غلط فترك الدعاء، أو ترك الاستعانة، والتوكل ظانًّاً أن ذلك من مقامات الخاصة، ناظراً إلى القدر، فكل هؤلاء جاهلون ضالون، ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبيﷺ أنه قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر، ويسلم الأمر لله؛ فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك، كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه»(٢).

ومما يقال لهؤلاء الذين يتركون العمل اعتماداً على القدر ـ إن الذي قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى، ٨/٢٨٤ـ٢٨٥، وانظر السنن الإلهية، د.عبدالكريم زيدان ص٢١ـ٣٣.

سنة »[١]، والذي قال: « ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار »[٢] هو الذي قال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[٣]، ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ سورة البقرة: ٨٥.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢ و ٤٩٤٥)، ومسلم(٢٦٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٦٤٧).

## المبحث الثالث

### الاحتجاج بالقدر على فعل المحرمات و ترك الواجبات

الإيمان بالقدر لا يمنح العاصيَ حجةً على ما ترك من الواجبات، أو فَعَلَ من المحرمات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعلَ ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتجَّ بالقدر.

ونفس المحتجّ بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول» (١).

وبما أن هذا الأمر مما يعمّ به البلاء فهذا إيراد لبعض الأدلة الشرعية والعقلية، والواقعية التي يتضح من خلالها بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧٩/٨، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٨/٢ـ٨٥٩.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية، ٦٥/٣ـ٧٨، وانظر مجموع الفتاوى ٢٦٢/٨ـ٢٦٨، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ص٣٠٦، ورسائل في العقيدة ٣٨ـ٣٩، وانظر لمعة الاعتقاد بشرح الشيخ محمد ابن عثيمين ٩٣ـ٩٥.

١ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ سورة الأنعام: ١٤٨، فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه.

ولهذا قال الله لهم: ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ أي هل عندكم دليل صحيح، فتخرجوه لنا؛ لننظر فيه، ونتدبره.

والمقصودُ من هذا: التبكيتُ لهم؛ لأنه قد عَلِم أنه لا عِلْم عندهم يصلح للحجة، ويقوم به البرهان، ثم أوضح لهم أنهم ليسوا على شيء من العلم، وأنهم إنما يتبعون الظنون، التي هي محل الخطأ، ومكان الجهل[(١)].

٢ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لئلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ سورة النساء: ١٦٥.

فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لما كان هناك داعٍ لإرسال الرسل؛ فلم يبق للخلق على الله حجة بعد إرساله الرسل تترى يبينون للناس أمر دينهم، ومراضي ربهم[(٢)].

٣ـ أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلِّفه إلا ما يستطيع، قال ـ تعالى ـ:

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٢/٢١٦.

(٢) انظر تفسير السعدي ٢/٢١٨.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ سورة التغابن: ١٦، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ سورة البقرة: ٢٨٦.

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلَّفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه ـ فلا إثم عليه لأنه معذور.

٤ـ أن القدر سرٌّ مكتوم، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله، فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علمٍ بقدر الله، فادعاؤه أن الله قدَّر عليه كذا وكذا ادِّعاءٌ باطل؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، فحجَّته إذاً داحضة؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

٥ـ أننا لو سلَّمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطَّلنا الشرائع.

٦ـ لو كان الاحتجاج بالقدر ـ على هذا النحو ـ حجة لقُبل من إبليس الذي قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ سورة الأعراف: ١٦.

٧ـ ولو كان حجة هؤلاء مقبولة ـ أيضاً ـ لتساوى فرعون عدو الله، مع موسى كليم الله ـ عليه السلام ـ.

٨ـ الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار، وهذا لازم لذلك المحتج، لا ينفكّ عنه.

٩ـ ولو كان حجة لاحتجَّ به أهل النار، إذا عاينوها، وظنوا أنهم مواقعوها، كذلك إذا دخلوها، وبدأ توبيخهم وتقريعهم، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم؟

الجواب: لا؛ بل إنهم يقولون كما قال ـ عز وجل ـ عنهم: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ سورة إبراهيم: ٤٤، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ سورة المؤمنون: ١٠٦، وقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ سورة الملك: ١٠، وقالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ سورة المدثر: ٤٣، إلى غير ذلك مما يقولون.

ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لاحتجوا به؛ فهم بأمس الحاجة إلى ما ينقذهم من النار.

١٠ـ ومما يردُّ هذا القول ـ أيضاً ـ أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر.

فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو أراد إنسان السفر إلى بلد، وهذا البلد له طريقان أحدهما آمن مطمئن، والآخر كله فوضى واضطراب، وقتل، وسلب، فأيهما سيسلك؟

لا شك أنه سيسلك الطريق الأول، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار؟

١١ـ ومما يمكن أن يرد به على هذا المحتج ـ بناء على مذهبه ـ أن يقال له: لا تتزوج؛ فإن كان الله قد قضى لك بولد فسيأتيك، وإلا فلن، ولا تأكل ولا تشرب؛ فإن قدَّر الله لك شبعاً وريَّاً فسيكون، وإلا فلن، وإذا هاجمك سَبُعٌ ضَارٍ

فلا تفر منه؛ فإن قدَّر الله لك النجاة فستنجو، وإن لم يقدرها لك فلن ينفعك الفرار، وإذا مرضت فلا تتداوَ؛ فإن قدَّر الله لك شفاءً شفيت، وإلا فلن ينفعك الدواء.

فهل سيوافقنا على هذا القول أَوْ لا؟ إن وافقنا علِمْنا فساد عقله، وإن خالفنا علمنا فساد قوله، وبطلان حجته.

١٢ـ المحتج بالقدر على المعاصي شبَّه نفسه بالمجانين، والصبيان؛ فهم غير مكلفين، ولا مؤاخذين، ولو عومل معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي.

١٣ـ لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للاستغفار، والتوبة، والدعاء، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٤ـ لو كان القدر حجَّة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس، ولعمَّت الفوضى، ولما كان هناك داعٍ للحدود، والتعزيرات، والجزاءات؛ لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظَلَمة، وقطَّاع الطرق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصب القضاة؛ بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله، وهذا لا يقول به عاقل.

١٥ـ أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول: لا نؤاخذ؛ لأن الله كتب ذلك علينا؛ فكيف نؤاخذ بما كُتِبَ علينا؟

يُقال له: إننا لا نؤاخذ على الكتابة السابقة، إنما نؤاخذ بما فعلناه، وكسبناه، فلسنا مأمورين بما قدره الله لنا، أو كتبه علينا، وإنما نحن مأمورون بالقيام بما يأمرنا به؛ فهناك فرق بين ما أريد بنا، وما أريد منا، فما أراده الله بنا طواه عنا،

وما أراده منا أمرنا بالقيام به.

ومما تجدر الإشارة إليه ـ أن احتجاج كثير من هؤلاء ليس ناتجاً عن قناعة وإيمان، وإنما هو ناتج عن نوع هوى ومعاندة؛ ولهذا قال بعض العلماء فيمن هذا شأنه: «أنت عند الطاعة قدري؛ وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به»[(١)].

يعني أنه إذا فعل الطاعة نسب ذلك إلى نفسه، وأنكر أن يكون الله قدر ذلك له، وإذا فعل المعصية احتج بالقدر.

وبالجملة فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع، والعقل، والواقع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المحتجين بالقدر: «هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى»[(٢)].

**الصورة الجائزة المسوغة للاحتجاج بالقدر:**

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر، والمرض، وفقد القريب، وتلف الزرع، وخسارة المال، وقتل الخطأ، ونحو ذلك؛ فهذا من تمام الرضا بالله ربًّا، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب، لا المعائب، «فالسعيد

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٧/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٢/٨.

يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ سورة غافر: ٥٥.

والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب»[١].

**ويوضح ذلك المثال الآتي:** لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ، ثم لامه من لامه، واحتج القاتل بالقدر، لكان احتجاجه مقبولاً، ولا يمنع ذلك من أن يؤاخذ.

ولو قَتَلَ رجلٌ رجلاً عن طريق العمد، ثم قُرِّع القاتل، ووُبِّخ على ذلك، ثم احتج بالقدر لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً؛ ولهذا حجَّ آدم موسى ـ عليهما السلام ـ كما في قوله ﷺ في محاجتهما: «احتج آدم موسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدّر عليَّ قبل أن أخلق؟ فحجَّ آدم موسى»[٢].

فآدم ـ عليه السلام ـ لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف، وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلُمْ آدم على الذنب؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب، فاجتباه ربه، وتاب عليه، وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/٤٥٤، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٥٧ـ٨٥٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجابه: إنني أذنبت فتبت، فتاب الله عليَّ، ولقال له: أنت يا موسى ـ أيضاً ـ قتلت نفساً، وألقيت الألواح إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة فحجَّه آدم بالقدر(١).

«فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له؛ فإنه من تمام الرضا بالله ربًّا، أما الذنوب فليس لأحد أن يُذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب»(٢).

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائبُ من الذنب، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر.

فلو قيل لأحد التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟ ثم قال: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفرت لقُبل منه ذلك الاحتجاج(٣).

ثم إنه لا يسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب؛ فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٧٨/٨، ومنهاج السنة ٧٨/٣ـ٨١، والاحتجاج بالقدر لابن تيمية ص١٨ـ٢٢، والفرقان لشيخ الإسلام ص١٠٣ـ١٠٥، والتدمرية ص٢٣٠ـ٢٣١، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٥٨/١ـ٢٦٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٨٣/١ـ٨٧، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ص٣٧٧ـ٣٩٥.

(٢) شرح الطحاوية ص١٤٧، وانظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٦٣/٥، والتدمرية ص٢٣١، وانظر المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من فتاوى ابن تيمية ص٣٤.

(٣) انظر شفاء العليل ص٣٥، وانظر القضاء والقدر، لأسعد محمد الصاغرجي ص٢٤، وتقريب التدمرية لابن عثيمين ص١١٥.

## تمهيد

مسألة تعليل أفعال الله، وإثبات الحكمة فيها من أجل مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، والشرع والقدر.

والحديث في هذا المقام لا يسمح بالتفصيل.

وقد اختلف الناس فيها على أقوال شتى، ولكنَّها ترجع إلى قولين.

**أحدهما:** قول نفاة الحكمة، وهو قول الأشاعرة ومن وافقهم ممن يرى أن الله ـ عز وجل ـ قدر المقادير، وشرع الشرائع لغير علة، أو حكمة، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

**الثاني:** قول الجمهور الذين يثبتون الحكمة، وأنَّ لله في كل ما يقضيه حكمةً ورحمة.

**وهذه الحكمة تتضمن شيئين:**

**أحدهما:** حكمة تعود إليه ـ تعالى ـ يحبها ويرضاها.

**والثاني:** حكمة تعود إلى عباده، فهي نعمة عليهم يفرحون، ويلتذون بها.

وهذا يكون في المأمورات، والمخلوقات[1].

---

(١) انظر أصول الدين للبغدادي ص١٥٠ـ١٥١، مجموع الفتاوى ٣٥/٨ـ٣٦، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلاميه لابن تيمية ١٩٧/١ـ٢٠٣، وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص٢٦١ـ٢٦٣، والقضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود ٢٤٢ـ٢٤٨، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن المحمود ١٣١٠/٣ـ١٣١٢.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقرراً حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ فيما يقدره ويشرعه: «ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالُنا من حكمة الله في خلقه لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها، وتلاشي علوم الخلائق جميعهم كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس، وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك، وهذا الوجود شاهد بحكمته، وعنايته بخلقه أتم عناية، وما في مخلوقاته من الحكمة، والمصالح، والمنافع، والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة ـ أعظم من أن يُحيطَ به وصفٌ، أو يحصرَه عقل؟!»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجماع ذلك أن كمال الرب ـ تعالى ـ وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وإحسانه، وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى ـ تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة.

وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه»(٣).

وبعد هذا التمهيد ينتقل الحديث إلى المباحث التالية التي تقرر هذا المعنى.

---

(١) شفاء العليل ص٤١٩.

(٢) شفاء العليل، ص٤١٨.

(٣) شفاء العليل ص٤١٨.

## المبحث الأول

## مسألة القدر المثبت والقدر المعلق
## أو المحو والإثبات في القدر، وزيادة العمر ونقصانه

قد يشكل على بعض الناس مواضعُ في كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ فيقول بعضهم: إذا كان الله قد عَلِمَ كُلَّ ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب ـ فما معنى قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ سورة الرعد: ٣٩.

وإذا كانت الأرزاق مكتوبة، والآجال مضروبة، لا تزيد ولا تنقص فما التوجيه لقوله ﷺ: «من سرَّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فَلْيَصِلْ رحمه»[(١)(٢)].

والجواب أن القدر قدران:

**أحدهما: القدر المثبت، أو المطلق، أو المبرم:** وهو ما في أم الكتاب ـ اللوح المحفوظ ـ فهذا ثابت لا يتغير، ولا يتبدل.

**وثانيهما: القدر المعلق، أو المقيد:** وهو ما في كتب الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو الإثبات، فالآجال والأرزاق والأعمار، وغيرها مثبتة في أم الكتاب لا تتغير، ولا تتبدل، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيه المحو والإثبات، والزيادة والنقص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «من سرَّه أن يُبْسَطَ له في رزقه، ويُنْسَأَ له

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) انظر القضاء والقدر للأشقر ص٦٦.

في أثره ـ فليصل رحمه».

فإن الله أمر الملَك أن يكتب له أجلاً وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملَك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر»(١).

وقال في موطن آخر عندما سئل عن الرزق: هل يزيد وينقص؟

«الرزق نوعان: أحدهما ما علمه الله أنه يرزقه، فهذا لا يتغير.

والثاني: ما كتبه، وأعلم به الملائكة، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «كأن يقال للملَك ـ مثلاً ـ إنَّ عُمُرَ فلانٍ مائةُ عامٍ ـ مثلاً ـ إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملَك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ سورة الرعد: ٣٩.

فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملَك.

وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله ـ تعالى ـ فلا محو فيه البتة، ويُقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلَّق»(٣).

ثم إن «الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

(٣) فتح الباري ٤٣٠/١٠، وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٩، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي ١١٤/١٦، وانظر إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه للسيوطي.

كان قد تقدم بأن يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعي، والاكتساب، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدره له بغير اكتساب، كموت مُوَرِّثه يأتيه بغير اكتساب»[١].

فلا مخالفة في ذلك «لسبق العلم، بل فيه تقيد المسببات بأسبابها، كما قدر الشبع والروي[٢] بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، فهل يقول عاقل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق، أو ينافيه بوجه من الوجوه» ؟[٣]

هذا وقد سبق الحديث في أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/٥٤٠ـ٥٤١.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: الرِّي.

(٣) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل للشوكاني ص٣٢، وانظر تفسير ابن سعدي لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ (٤/١١٦، ١١٧) من التفسير.

(٤) يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله: «والأظهر أن جميع أنواع القدركلها موجودة في أم الكتاب، فما كان منها معلقاً على أسبابه وجد عند وجود السبب، وما كان غير معلق وقع في وقته لا يتقدم ولا يتأخر، والعبد مأمور بفعل الأسباب، وأداء الأوامر، وترك النواهي، وكل ميسر لما خلق له كما قال النبي ﷺ لما ذكر القدر وسأله الصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بقولهم: ففيم العمل؟ قال: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له» الحديث، والله ولي التوفيق» ا.هـ

## المبحث الثالث

## مسألة الهداية والإضلال

مسألة الهداية والإضلال مسألة عظيمة، وقد مرَّت إشارات إليها فيما مضى من مباحث، وإنما أُفردت هاهنا؛ لأهميتها، ولكونها تترد كثيراً في الأذهان، وربما ظهر على بعض الألسنة أحياناً أسئلة في شأنها، فيقال: إذا شاء الله من الإنسان المعصية، ولم يشأ منه الطاعة، فَلِمَ يحاسبُه على ما يشاؤه منه؟

ولِمَ لم يشأ منه الطاعة كما شاءها من غيره؟

والجواب أن يُقال: إن الهداية والإضلال والطاعة والمعصية بمشيئة الله، والإنسان سبب في وقوعها، ومسؤول عنها؛ فذلك من الأصول القطعية عند أهل السنةِ، والقاعدةُ التي يتفق عليها العقلاء أن القطعيات لا تتناقض في نفسها وإن بدت لنا متناقضة؛ لقصور إدراكنا؛ فحسبنا أن نقف عند هذه القطعيات، ونؤمن بها جميعاً، ولا نرد منها شيئاً ولو لم نحط بها علماً؛ لأن مسألة القضاء والقدر لها تعلق بصفات الله؛ فالقدر قدرة الله، وقدرة الله كعلمه وحكمته وإرادته وسائر صفاته من جهة كونها معلومة المعنى مجهولة الكيفية؛ فكما أننا نعجز عن الإحاطة بصفات الله فكذلك نعجز عن الإحاطة بسر القدر الإلهي.

ومن أسراره أن أضل الله وهدى، وأسعد وأشقى، وأمات وأحيا، وغير ذلك؛ لحكمة يعلمها ولا نعلمها، وهو العليم الحكيم.

ولا يضير المرء في إيمانه عجزه عن معنى الإحاطة بسر القدر؛ لأن ذلك ليس بمستطاع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولكن الذي يضيره أن يبنيَ على عجزه أحكاماً، ويتصَّرفَ على غير هدى، وَيرُدَّ بعضَ الأصول القطعية، وَيضْرِبَ النصوص بعضها ببعض.

ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن للمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يلزم ليكون تصرفه سليماً أن يُدرك غيرُه الحكمة في تصرفاته، وليس لأحد حق الاعتراض عليه في تصرفه إذا لم يعلم السر في أفعاله.

ولا نزاع بينهم أن البارع في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو صنعة من الصنائع أنه قد يعمل أعمالاً لا تدركها عقول الذين لم يقفوا على أسرار ذلك العلم، أو الفن، أو الصنعة.

ولا يعني عدمُ إدراكهم لذلك القدحَ في ذلك العلم، أو الفن، أو الصنعة.

هذا بالنسبة للبشر القاصرين في علمهم وحكمتهم، فكيف بأحكم الحاكمين، وبمن وسع كل شيء رحمة وعلماً؟!

فإن حاولنا كشف ما طُوي عنا من أسرار القدر مما استأثر الله بعلمه كان ذلك تكلفاً بلا نتيجة، ومن حاول إدراك غير المستطاع فنتيجة محاولته أن يكون[1]:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنَه الوعلُ[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والله ـ تعالى ـ غني عن العباد، إنما أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم،

(١) انظر العقل والنقل عند ابن رشد، د.محمد أمان ص٥٦ـ٥٧.

(٢) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ص٦١

محسن لهم بإعانتهم على الطاعة.

ولو قُدِّر أن عالماً صالحاً أمر الناس بما ينفعهم، ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به، ولم يعن آخرين لكان محسناً إلى هؤلاء إحساناً تامًّا، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه.

وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته لكان ـأيضاًـ محموداً على هذا وهذا.

وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟! فأمره لهم إرشاد، وتعليم، وتعريف بالخير، فإن أعانهم على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور، وهو مشكور على هذا وهذا.

وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى»[1].

وقال رحمه الله: «وليس اطلاع كثير من الناس ـ بل أكثرهم ـ على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم، بل قد يكون ضارًّا، قال ـ تعالى ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ سورة المائدة: ١٠١.

وهذه المسألة: مسألة غايات أفعال الله، ونهاية حكمته مسألةٌ عظيمة، لعلها أجل المسائل الإلهية»[2].

---

(١) منهاج السنة ٣/٣٨، وانظر الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٣٤ـ٣٦، ورسالة الثغر لأبي الحسن الأشعري ص٨٥.

(٢) منهاج السنة النبوية ٣/٣٩، وانظر ١/٤٦ من الكتاب نفسه، ومجموع الفتاوى ٨/٨١، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/١٨٧ـ١٩٥.

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ : «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل، لا يجور: كيف خلق؟ وكيف قدَّر؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قِبَلَه، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل» [(١)].

**وخلاصة القول في هذه المسألة** أن الهداية والإضلال لله وحده؛ فالله أعلم حيث يجعل هدايته كما أنه أعلم حيث يجعل رسالته.

ولا يعني ذلك تعطيل الأسباب؛ فالله ـ عز وجل ـ نصب أسباباً، وجعلها طريقاً للوصول إلى الهدى، وحذَّر من أسباب الإضلال، وبيَّن أنها موصلة للردى، ويبقى بعد ذلك أن نستحضر أن ذلك كله بيد الله ـ عز وجل ـ فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون عما يفعلون.

هذا وقد مرت إشارات إلى هذه المسألة خصوصاً عند الحديث عن نسبة الشر إلى الله ـ عز وجل ـ وعن الحكمة من إرادة الله لما لا يحبه، وعن الحكمة من خلق إبليس والمصائب والآلام وتقدير المعاصي.

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص٣٥، وانظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/٣٩٠.

## تمهيد

القدر ـ كما مر في مقدمة البحث ـ من الموضوعات الكبرى التي خاض فيها الناس، وشغلت أذهانهم في القديم والحديث؛ لأنه مرتبط بحياتهم وما فيها من تقلبات الأحوال من صحة ومرض، وفقر وغنى، وموت وحياة، وسعادة وشقاء، وما جرى مجرى ذلك.

ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها الفلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف إلا وقد قال بمثلها غيرهم ممن سبقهم، ويقول بها بعض علماء أوربة، وفلاسفة الغرب عموماً[1].

والأقوال في القدر ـ بإجمال ـ لم تتغير قبل أو بعد، فهي ترجع إلى ثلاثة أقوال:

١ـ **قول أهل الجبر:** الذين يقولون: إن الإنسانَ مجبورٌ على أفعاله، وليس له إرادة ولا قدرة.

ويمثل هذا في الفرق الإسلاميةِ الجهميةُ ومَنْ وافقهم، وهو ما يُسمَّى في العصور المتأخرة بالمذهب الحتمي[2].

٢ـ **قول أهل حريَّةِ الإرادة، واستقلال الإنسان في أفعاله عن خالقه**، وأنَّ

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣٠٨ـ١٣٠٩، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص٥٨٦.

(٢) سيأتي الحديث عن المذهب الحتمي في المبحث الخامس من هذا الفصل.

الإنسانَ له إرادة مستقلة عن إرادة الله، وأنه هو الذي يخلق أفعاله.

ويمثل هذا المذهبَ المعتزلةُ[1] القدرية، ومن وافقهم.

**٣ـ وهناك قولٌ وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛** حيث يثبت القائلون به القدر، وأنَّ الله خالق كلِّ شيء، ويقولون ـ مع ذلك ـ: إنَّ للإنسان قدرةً يفعل بها، ومشيئةً يختار بها، وقدرته ومشيئته واقعتان بقدرة الله، ومشيئته تابعتان لهما.

وهذا هو قول السلف، وأتباع الأنبياء.

وبين هذه الطوائف الثلاثة قد تنشأ فرق أخرى تميل في بعض المسائل إلى طائفة، وفي المسائل الأخرى إلى طائفة أخرى، ويكون الحكم عليها بحسب ما يغلب على مذهبها، وهذا ما تقرر بعضه فيما مضى، وسيتقرر بعضه بما سيأتي.

(١) فرقة نشأت ما بين سنة ١٠٥هـ ـ ١١٠هـ، حين انفصل واصل بن عطاء عن الحسن البصري، حين خالف الحسنَ في حكم مرتكب الكبيرة وزعم أنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، فسُمِّي هو ومن تابعه المعتزلة؛ لاعتزالهم الحسن، وقول الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، وزعمهم أن صاحب الكبيرة قد اعتزل الكافرين والمؤمنين. انظر الفرق بين الفرق ص٢٠ـ٢١، والمعتزلة وأصولهم الخمسة د.عواد المعتق ص٢٨٣.

## المبحث الأول

## نشأة القول بالقدر

مر بنا أن الإيمان بالقدر أمر فطري، وأنه لم يكن في العرب من ينكر القدر لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

وهكذا كان الأمر بعد البعثة النبوية؛ فلم يقع في عهد رسول الله ﷺ أي افتراق، أو ابتداع في أمور العقيدة ومنها القدر.

وهذا لا ينافي وقوع بعض الأسئلة التي يأتي جوابها حاسماً من الرسول ﷺ.

كما لا ينافي وقوع المخاصمة من جانب اليهود أو المشركين.

وقد مرَّ شيءٌ من ذلك عند الحديث عن مسألة حكم الحديث في القدر.

وبعدما انطوى عهد النبوة، وكثرت الفتوحات، واختلط المسلمون بغيرهم ـ ظهرت بدعة القدرية التي تُعد أول شرك في الإسلام.

وكان أول ظهورها في البصرة ودمشق، ولم تظهر في مكة ولا المدينة؛ لانتشار العلم.

وقد ظهرت في أواخر عهد الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وجابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهم ـ فاشتد نكيرهم على تلك البدعة وأصحابها[١].

---

(١) انظر السنة للإمام عبدالله بن أحمد ٢/٤٢٠ـ٤٢١، والحجة في بيان المحجة ٢/١٥ـ١٦، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/٦٢٥ و ٦٩٤ـ٧٣٠، ولوامع الأنوار ١/٢٩٩.

**وتكاد مصادر أهل السنة تجمع على أن أول من تكلم بالقدر رجل من أهل البصرة** يعمل بقالاً ويقال له: «سنسويه»، وبعضهم يسميه «سيسويه»، وبعضهم يسميه «سوسن».

ثم تلقفها عنه معبد الجهني، وأخذ عن معبد غيلان الدمشقي(١).

قال الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام رحمه الله: «أو من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: «سوسن» كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد»(٢).

وبعد معبد وغيلان ظهر رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء(٣)، وعمرو ابن

---

(١) هو غيلان بن مسلم الدمشقي، كان من البلغاء، تُنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قيل: إنه تاب عن القول في القدر على يد عمر بن عبدالعزيز، فلما مات عمر رجع إلى مذهبه، فطلبه هشام بن عبدالملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته فأفتى بقتله، فقتل على باب كيسان بدمشق.

انظر ميزان الاعتدال ٣/٣٣٨، والأعلام ٥/٣٢٠.

(٢) القدر للفريابي ص٢٤٠-٢٤١، والشريعة للآجري ص٢٤٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/٧٥٠.

(٣) هو واصل بن عطاء الغزال، المولود سنة ٨٠هـ، المتوفى سنة ١٣١هـ.

تتلمذ على الحسن البصري ولم يفارقه حتى أظهر مقالته في المنزلة بين المنزلتين، وهو من رؤوس الاعتزال، وهناك فرقة من فرق المعتزلة تُنسب إليه يُقال لها الواصلية، يُعد من أئمة البلغاء والمتكلمين، وكان يلثغ بالراء فيجعلها عيناً، فكان يتجنبها في كلامه ولا يُفطن لذلك؛ لقدرته على الكلام، وسهولة ألفاظه، من مؤلفاته: أصناف المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين، والتوبة. انظر وفيات الأعيان ٦/٧، والفرق بين الفرق ص٢٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١/١٨٢.

عبيد[١]، فنقلوا هذه المقالات ونشروها ـ كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن القدرية ـ.

والمقصود بالكلام في القدر في بداية الأمر إنما هو نفي القدر.

هذا هو المشهور من الأقوال في بداية القول بالقدر، ويشهد على ذلك ما جاء في قصة الحديث المشهور ـ حديث جبريل ـ في صحيح مسلم، فقد روي عن يحيى بن معمر قال: «كان أول من قال في القدر معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد؛ فاكتنفته أنا وصاحبي: أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سَيَكِلِ الأمر إلي، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرؤون القرآن، ويَتَقَفَّرون[٢] العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأنَّ الأمرَ أُنف.... » الحديث[٣].

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري، مولى بني تميم، ولد سنة ٨٠ هـ، توفي ١٤٤هـ، جالس الحسن البصري وحفظ عنه، ثم اعتزل مجلسَه، يُعد شيخ المعتزلة في عصره، وكان ذا زهد وتأله، وهو رئيس الفرقة العمروية من المعتزلة. انظر وفيات الأعيان ٨٥/٤، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦.

(٢) يتقفرون العلم: يعني يطلبونه، ويتتبعونه. انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤٦٦/٢ـ٤٦٧.

(٣) مسلم (٨).

وهذا يفيد أن معبداً هو أول من قال بالقدر، وقبل ذلك تبين من كلام الأوزاعي أن معبداً أخذه عن النصراني سنسويه، أو سيسويه، أو سوسن.

وقد يكون من المحتمل أن أساس الفكرة كان عند ذاك الرجل النصراني الذي تظاهر بالإسلام، ولكنه لم يستطع أن يجاهر بها؛ لعدم ثقة الناس به، فتلقاها عنه معبد ونشرها، فاشتهرت عنه[1].

فهذا هو القول الأرجح في نشأة القول بالقدر.

**وهناك قولان آخران في هذا الشأن:**

**أحدهما:** أن أول ما حدث القول بالقدر بالحجاز قبل معبد الجهني، وأن ذلك وقع لما احترقت الكعبة لما كان عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ **محصوراً** بمكة؛ فقال أناس: احترقت بقدر الله ـ تعالى ـ وقال أناس: لم تحترق بقدر الله[2].

**والقول الآخر:** أن أول من نادى بالقدر في الشام عمرو المقصوص وكان عمرو هذا معلماً لمعاوية الثاني، وهو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فأثر فيه كثيراً، فاعتنق أقواله في القدر، حتى إنه لما تولَّى الخلافة كان عمرو هذا هو الذي أثر فيه؛ فاعتزلها حتى مات، ووثب بنو أمية على عمرو المقصوص،

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص١٦٤.

(٢) انظر الإيمان لابن مندة ١/١٢٧ـ١٣٢، والفرق بين الفرق للبغدادي ص١١٧، وإكمال المُعْلم، ومكمل الإكمال، وهما شرحان لصحيح مسلم ١/٥، والإيمان لابن تيمية ص٣٦٨، وتاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ١/١١٢ـ١١٤، والقضاء والقدر للمحمود ص٦٦.

وقالوا: أنت أفسدته، ودفنوه حياً.

وهذا القول ـ كما يقول د. عبدالرحمن المحمود حفظه الله ـ: «ضعيف؛ لأن معاوية بن يزيد كان رجلاً صالحاً، وعمرو المقصوص لم أجد مَنْ ذكر قصته من المؤرخين غير ابن العبري»[1].

وهكذا نشأ القول بالقدر، وضل بسببه فرق شتى، وكان منشأ ضلالهم كثرة الجدل، وتقديم العقل على النقل، والنظر إلى النصوص بعين عوراء.

**وكردَّة فعل للقدرية النفاة ظهر أناس غلو في الإثبات**؛ حيث نشأ في آخر عهد بني أمية أقوام قالوا بالجبر، وزعموا أنَّ العبد ليس له خيار فيما يأخذ أو يدع، وبعضهم يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة.

وأول من أظهر هذا القول الشنيع: الجهم بن صفوان[2]، وتفرع عن هذه البدعة أقوال شنيعة، وضلال كبير[3].

هذه هي بدايات القول بالقدر، وقبل الدخول في تفاصيل أقوال الفرق في القدر يحسن تحديد الخلاف في القدر بإيجاز، **فالخلاف فيه يدور حول أمرين**:

---

(١) القضاء والقدر للمحمود ص١٦٦، وانظر مختصر الدول لمؤلفه غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري ص١١١.

(٢) هو أبو محرز الجهم بن صفوان الراسبي من موالي بني راسب السمرقندي رأس الجهمية وإليه تُنسب، له آراؤه المعروفة في الصفات والقدر، كان صاحب مجادلات ومخاصمات. قتله سلمة بن أحوز سنة ٢٨٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢/١٣٨.

(٣) انظر القضاء والقدر د. عمر الأشقر ص٢٣.

**أحدهما:** ما يتعلق بالله ـ تعالى ـ وذلك في مراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق التي يثبتها أهل السنة لله ـ تعالى ـ.

**الثاني:** ما يتعلق بالعبد: هل له إرادة ومشيئة أَوْ لا؟ وهل له قدرة أَوْ لا؟ وهل هو فاعل لفعله حقيقة أَوْ لا؟

والطوائف ما بين غالٍ في إثبات القدر لله إلى حد أن قالوا بالجبر ونفي القدرة والإرادة عن العبد، ومُفْرطٍ في القدر إلى حدِّ نفي بعضه عن الله، وإثباته للعبد.

وأهل السنة وسط بين هاتين الطائفتين[1].

وهذا ما سيتبين في المباحث التالية، حيث سَيَرِد ذكرٌ لأقوال بعض الفرق التي ضلت في هذا الباب.

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٠١.

## المبحث الثاني

## قول القدرية المعتزلة في القدر

**القدرية:** هم أتباع معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وأتباع واصل ابن عطاء، وعمر بن عبيد من المعتزلة، ومن وافقهم، هؤلاء هم القدرية.

**وسموا قدرية** ـ كما يقول ابن قتيبة رحمه الله ـ: «لأنهم أضافوا القدر إلى أنفسهم، وغيرهم يجعله له ـ تعالى ـ دون نفسه، ومُدَّعي الشيء لنفسه أولى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره»(١).

**وقولهم في القدر:** إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله ـ تعالى ـ وقدرته في ذلك أثر.

ويقولون: إن أفعال العباد ليست مخلوقةً لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، ويقولون: إن الذنوب الواقعة من العباد ليست واقعة بمشيئة الله.

وقالوا: «نحن نفعل ما لا يريد الله ـ تعالى ـ ونقدر على ما لا يقدر»(٢).

وغلاتهم ينكرون أن يكون الله قد علمها، فيجحدون مشيئته الشاملة، وقدرته النافذة، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم شابهوا المجوس الذين قالوا: إن للكون إلهين: إلهَ النور: وهو خالق الخير، وإلهَ الظلمة: وهو خالق الشر.

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٧٨.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص٧٨.

**«وقد وردت أحاديث في السنن وغيرها عن النبي ﷺ في ذم القدرية، ووصفهم بأنَّهم مجوس هذه الأمة.**

وهي وإن كانت لا تخلو من مقال إلا أن بعضها يصل إلى درجة الحسن، وبعضها يقوي بعضاً»[(١)].

ومن ذلك ما جاء عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يحشرهم معه»[(٢)].

وما جاء عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم»[(٣)].

كما وردت آثار كثيرة من السلف في ذم القدرية، وكتب العقيدة مليئة بذلك، ومنها كتاب القدر للفريابي؛ حيث ساق آثاراً كثيرة في هذا الصدد، منها ما أخرجه بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «ما غلا أحد في القدر

---

(١) القضاء والقدر للمحمود ص١٥٠.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩٢)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٩٧٥): «ضعيف».

(٣) رواه أبو داود (٤٧١٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٧١٢): «ضعيف».

إلا وخرج من الإيمان»[١].

وأخرج بسنده عن أبي الزبير المكي أنه قال:« كنت أنا وطاووس نطوف بالبيت، فذكر أن معبداً الجهني تكلم في القدر، وكان أول من تكلم في القدر فعدلت إليه، فقال له طاووس: أنت المفتري على الله، فقال: إنه يُكْذَب علي، قال، فانصرفنا إلى عبدالله بن عباس، فذكر ذلك له، فقال ابن عباس: أروني منهم إنساناً، فوالله لا تُرونيه إلا جعلت يدي في رأسه فلا أفارقه حتى أدق عنقه»[٢].

وروى بسنده عن أرطاة بن المنذر قال: «سمعت أنه يُقال: ما فتشت قدرياً إلا وجدته ملطوماً بحمقه»[٣].

والقدرية جعلوا لله شريكاً، بل شركاء في خلقه، فزعموا أن العباد يخلقون أفعالهم.

**ومنشأ ضلال هؤلاء في البداية** أنهم أرادوا تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن الشر، ورتبوا على نفيهم الأفعالَ القبيحةَ عن الله قولهم: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم؛ فوقعوا في نفي القدر.

**وقد استدلوا على مذهبهم استدلالاً أعور ببعض الآيات، ومن ذلك ما يلي:**

---

(١) كتاب القدر للفريابي ص١٧٢.

(٢) كتاب القدر ص٢٠٥ـ٢٠٦.

(٣) كتاب القدر ص٢٠٠.

**١ـ استدلالهم بالآيات الدالة على إثبات المشيئة للعباد: كقوله ـتعالىـ:** ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ سورة التكوير:٢٨، وقوله: ﴿فمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف:٢٩.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ سورة المدثر:٣٧.

وغيرها من الآيات الدالة على إثبات المشيئة للعباد، فقالوا: لو لم تكن أفعالهم لما علق مشيئتهم عليها.

**٢ـ واستدلوا بالآيات التي تبين أن العباد هم الذين يؤمنون ويكفرون، ويطيعون ويعصون،** كما في قوله ـ تعالى ـ:﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى﴾ سورة الإسراء:٩٤، وقوله ـ تعالى ـ:﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ سورة البقرة:٢٨، وقوله ـ تعالى ـ:﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ سورة النساء:٣٩، وقوله ـ تعالى ـ:﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران:٧١.

قالوا: كيف يكون الله خالقاً لأفعال العباد مع أن هذه الآيات تنص على أنهم هم الذين يؤمنون، ويكفرون، ويلبسون الحق بالباطل؟

فلو لم تكن أفعالهم حقيقة لما عاتبهم، وذمهم على ترك الإيمان، وفعل الكفر.

٣ـ وكذلك استدلوا على آيات الجزاء كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة السجدة:١٧، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ سورة التوبة:٨٢.

قالوا: ولو لم يكن العباد هم العاملين والخالقين لأفعالهم، والصانعين لها

لكان هذا الكلام كذباً، وكان الجزاء على ما يخلقه فينا ضعيفاً.

٤ـ واستدلوا بمثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ سورة النمل: ٨٨.

ووجه استدلالهم أن الله بين في هذه الآية أن أفعاله كلها متقنة، والإتقان يتضمن الإحكامَ، والحسنَ جميعاً، ومعلومٌ أن في أفعال العباد ما يشتمل على التهود، والتنصر، والتمجس، وليس شيء من ذلك متقناً؛ فلا يجوز أن يكون الله خالقاً لها[1].

ومن أقوالهم في هذا قول عبدالجبار الهمذاني[2]: «اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد مِنْ تصرفهم، وقيامهم، وقعودهم حادثةٌ من جهتهم، وأن الله ـ جلَّ وعزَّ ـ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا مُحدثَ سواهم، وأن من قال: إن الله ـ سبحانه ـ خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه»[3].

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار الهمذاني ص٣٥٥ـ٣٦٢، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ص٣٧٧ـ٣٩٥، والقضاء والقدر للمحمود ٣٣٧ـ٣٤١.

(٢) هو أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدالله الهمذاني الأسد أبادي، القاضي، ولد سنة ٣٢٠هـ على الأرجح، وتوفي سنة٤١٥هـ، كان أشعرياً ثم انتقل إلى الاعتزال، وهو آخر علماء المعتزلة الكبار الذي دافعوا عنهم وألفوا الكتب المطولة منها: شرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل. انظر الأعلام للزركلي ٤/٤٧.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبدالجبار الهمذاني ٢/٣٤٠.

والإنسان عند المعتزلة «يجوز أن يُفْني فعل الله ـ تعالى ـ الذي هو القدرة بفناء الحياة بأن يقتل نفسه، ويجوز أن يبطل فعل الغير للسكون بتحريك المحل»(١).

هذا هو خلاصة مذهب المعتزلة مع ملاحظة أنهم يختلفون في بعض التفصيلات حول القدر، ولكنَّ ما ذُكِرَ هو ما أجمعوا عليه.

والمتأمل في كلامهم، وأقوالهم يجد من التناقض، والتعارض، وقِصَرِ النظرِ الشيءَ الكثير(٢).

هذا وقد مر بنا شيء من الرد على ذلك عند الحديث عن مرتبتي الخلق والمشيئة، وعند الحديث عن خلق أفعال العباد، وعند الحديث عن أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وعند خلق الشر والحكمة منه، وعند الحديث عن الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها، ويكفي في الرد عليهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الصافات:٩٦.

فأفعال العباد خلق لله، وكسب للعباد؛ فهي من الله خلقاً وإيجاداً، وهي من

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ٨/٢٨٣.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ٣٠٧ـ٣٠٨.

العباد فعلاً وكسباً[1].

هذا وسيأتي ـ إن شاء الله ـ مزيد بيان لبطلان مذهب القدرية عند مناقشة قولهم وأدلتهم في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

---

(١) انظر المختار في أصول السنة لابن البنا ص٨٧ ، ورسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي النصر عبدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي ص٣٣٢ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل السكسكي ص١٩ـ٢٣ ، وبغية المرتاد لابن تيمية ٢٦١ ، الصفدية ١٠٦/٢ـ١٠٩ ، والاستقامة ١٤٧/١ و١٧٩ و٤٣١ ، وانظر مجموع الفتاوى ٢٥٨/٨ ، والتعريفات للجرجاني ص١٨١ ، وشرح الواسطية للهراس ص٢٢٩ـ٢٣٠ ، ورسائل في العقيدة ص٤٠ ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص١٥١ـ٢٠٨ ، والمعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة، وطارق عبدالحليم ص٥٧ـ٥٩ ، وانظر إلى الدرر البهية ص١٧ـ١٨ ، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص٩٠ ، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص٢٠٤ـ٢٠٦.

## المبحث الثالث

## قول الجبرية في القدر

**الجبرية أو المجبرة:** هم الذين غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعباد قدرة، أو إرادة، أو اختيار؛ فيرون أن العباد مجبورون على أفعالهم، وأن العبد كالريشة في مهب الريح، وإنما تنسب إليه الأفعال مجازاً، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح؛ فأنكروا قدرة العباد، واختيارهم، واتهموا ربهم بالظلم، وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي(١).

**وأهم الفرق التي حملت لواء الجبر**، حتى كاد يصير علماً عليها فرقة الجهمية أتباع الجهم بن صفوان الذي استقى تعاليمه من أستاذه الجعد ابن درهم(٢) الذي

---

(١) انظر شرح الواسطية للهراس ص٢٣٠، والاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٣٠، والبرهان في معرفة عقائد الأديان للسكسكي الحنبلي ص٤٢ـ٤٣، والنبوات لابن تيمية ص١٦٦، ومجموع الفتاوى ٢٥٦/٨، وشرح نونية ابن القيم للهراس ٣٢٢/١، والدرر السنية جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٨/١ـ٣٥٩، والمنتقى من فرائد الفوائد للشيخ محمد بن عثيمين ص١٠٢، والإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص٥٣ـ٥٤.

(٢) هو الجعد بن درهم من الموالي أصله من خراسان، أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذ بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذه لبيد عن أعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ عن يهودي باليمن، والجعدُ مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، فقُتل في ذلك بالعراق يوم النحر قتله خالد القسري نحو سنة ١١٨هـ. انظر الأعلام ١١٤/٢.

كان يقول بالجبر.

ولكن ذلك اشتهر عن تلميذه الجهم[١].

وقد نقلت كتب المقالات أقوال الجهم في القدر، فيقول البغدادي[٢] عن الجهم: «وقال: لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله ـ تعالى ـ.

وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال: طلعت الشمس، ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين، أو مستطيعين لما وُصِفتا به»[٣].

ويقول الشهرستاني[٤] عن الجهم: «ومنها قوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار.

وإنما يخلق الله ـ تعالى ـ الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجماد، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة،

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٢٠٢ـ٢٠٣ و٣٠٢ـ٣٠٥.

(٢) هو الأستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي، الأديب، كان ماهراً في فنون عديدة خصوصاً علم الحساب؛ فإن كان متقناً له، وله فيه تواليف نافعة، وكان عارفاً بالفرائض، والنحو، وله أشعار، توفي سنة ٤٢٩هـ، بمدينة إسفرايين ودُفن إلى جانب شيخه أبي إسحاق الإسفراييني. انظر وفيات الأعيان ٢٠٣/٣.

(٣) الفرق بين الفرق ص٢١١.

(٤) هو أبو فتح محمد بن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ولد بشهرستان، تتلمذ على أبي نصر القشيري، وأبي القاسم الأنصاري، ولد سنة ٤٦٩هـ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠. الأعلام ١٣٨/٢ـ١٣٩.

وجرى الماء، وتحرك الشجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، واهتزت الأرض، وأنبتت إلى غير ذلك.

والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر.

قال: وإذا أثبت الجبر فالتكليف -أيضاً- كان جبراً»(١).

هذا هو مذهب الجهم، وواضح ما في مذهبه من جبر خالص يجعل الإنسان في أعمال كورقة الشجر التي تحركها الرياح.

لكن مع هذا فإن الأشعري(٢) في المقالات يذكر رأي الجهم في القدر لكن مع

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/٨٧.

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ﷺ وقد اشتهر بأبي الحسن الأشعري، ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان على مذهب المعتزلة ثم تركه، ورد على المعتزلة فانتشر مذهبه، ونُسب إليه مذهب الأشاعرة لكنه في المرحلة الأخيرة من حياته لما بلغ الأربعين رجع إلى القول الحق وإن كان قد بقي فيه آثار من مذهب المعتزلة، توفي سنة ٣٣٠هـ على أرجح الأقوال، له كتب منها: الإبانة عن أصول الديانة.

وكان رحمه الله محل ثناء العلماء عليه، خصوصاً علماء الأشاعرة، وتركز ثناؤهم على ما كان له من نسب، وما قام به من الرد على المعتزلة، والملاحدة وغيرهم، وما كان عليه من الذكاء والعلم.

ويقول عنه الذهبي رحمه الله: «ولأبي الحسن ذكاء مفرط وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة، تقضي له بسعة العلم»

ويقول عنه ـ أيضاً ـ: «رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول وبه أدين، ولا تُؤَوَّل»

انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٨٦ـ٨٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٤٧، والأعلام ٥/٦٩، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د.عبدالرحمن المحمود ١/٣٢٩ـ٤٣٤.

اختلاف يسير عما ذكره البغدادي والشهرستاني.

يقول الأشعري عن الجهم بأنه زعم «أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز.

كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس.

وإنما فعل ذلك بالشجر والفلك والشمس ـ سبحانه ـ إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل، واختياراً له منفرداً بذلك كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً»[1].

هذا هو مذهب الجهمية الجبرية ومن وافقهم.

**وقد استدلوا بآيات من القرآن الكريم، وبالعقل، وأهمها[2]:**

**١ـ الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء:** مثل قوله ـتعالى ـ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ سورة الأنعام:١٠٢.

وقوله ـتعالى ـ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾سورة الزمر:٦٢.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٣٣٨/١، وانظر القضاء والقدر، د. عبدالرحمن المحمود ص٣٠٣ـ٣٠٤.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٨ـ٣٣١.

يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ سورة فاطر: ٣.

فهذه الآيات تدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، وأفعال العباد شيء؛ فالله خالقها وحده، ومن ثم فلا قدرة، ولا إرادة للعباد في أفعالهم؛ فهم مجبورون غير مختارين(١).

**٢ـ الآيات التي تثبت المشيئة لله وحده، وأنه لا مشيئة للإنسان إلا تحت مشيئة الله:** كقوله ـتعالى ـ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ سورة القصص: ٦٨.

وقوله ـتعالى ـ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ سورة الإنسان: ٣٠.

وقوله ـعز وجل ـ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة التكوير: ٢٩.

وقوله ـتعالى ـ: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ سورة المدثر: ٣١.

وغيرها من الآيات في هذا السياق؛ فهم يرون أن الإنسان إذا كان مسلوب الإرادة، والله هو الذي يشاء ويريد، ويهدي ويضل ـ فهو الخالق لأعمال العباد، وهم مجبورون لا إرادة لهم، ولا مشيئة، ولا خلق(٢).

---

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٨.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٣٠

**٣ـ ويستدلون بالآيات التي تنفي الفعل عن العبد، وتثبته لله:** كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ سورة النساء: ٧٨.

فهذه الآيات وما جرى مجراها ـ عندهم ـ نص في أنَّ الإنسان لا إرادة له ولا فعل(١).

**٤ـ واستدلوا بالعقل فقالوا:** إن الله عَلِمَ وأراد أزلاً وجود أفعال العباد، وتعلقت قدرته بوجودها فيما لا يزال؛ فما وقع من أفعال العباد فهو بقضاء الله وقدرته، والعباد مجبورون عليها(٢).

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص٤٩٤.

(٢) انظر في أدلة الجبرية كتاب رد على المجبرة القدرية للإمام يحيى بن الحسين «من أئمة الزيدية ٢٤٥ـ٢٩٨هـ» ص٣٤ وما بعدها من الجزء الثاني ضمن رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة، وانظر مذاهب الإسلاميين لعبدالرحمن بدوي ١/٩٨، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٢٢٨ـ٣٣١.

## المبحث الرابع

## قول غلاة الصوفية في القدر(١)

**الصوفية وخصوصاً غلاتهم** غلوا في الجبر خصوصاً «ممن يزعمون الترقي في مقام الشهود للحقيقة الكونية، والربوبية الشاملة، فيرون كل ما يصدر من العبد من ظلم، وكفر، وفسوق هو طاعة محضة؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره، وكل ما قضاه وقدَّره فهو محبوب لديه، مرضي عنه؛ فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكابه هذه المحظورات فقد أطاع إرادة الله ونَفَّذَ مشيئته، فمن أطاع الله وقضاءَه وقدرَه هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله»(٢).

---

(١) الصوفية: من حيث أصل النسبة مُخْتَلف فيها على أقوال؛ فقيل: نسبة إلى الصفاء، أو إلى الصُفَّة، أو إلى الصُوفانة وهي بغلة صغيرة نُسبوا إليها لزهدهم، وقيل: نسبة إلى رجل يسمى صوفة، وقيل: من سوفيا وهي الحكمة بلغة اليونان، وقيل: نسبة إلى الصف؛ لأنهم في الصف الأول بارتفاع هممهم، ورجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أنها نسبة إلى الصوف؛ لزهدهم ولبسهم الصوف.

أما تعريف التصوف في الاصطلاح فقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً، فقيل: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله، وقيل: الأخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق.

وبالجملة فالصوفية كانت بداية للزهد ثم تطورت وصارت مذاهب شتَّى وطرائق قددا منها ما يقرب من السنة ومنها ما يَبْعُد، بل منها ما يصل حدَّ الزندقة. انظر تعريفات الجرجاني ص٥٩-٦٠، ومجموع الفتاوى ٦/١١، و«هذه هي الصوفية» للشيخ عبدالرحمن الوكيل.

(٢) شرح النونية للهراس (٣٧٢/١).

«ومِنْ ثَمَّ فلا لوم، ولا تثريب، بل الكل مطيع بفعله لإرادة ربِّه، فصححوا بذلك إيمان فرعون وعبدة العجل، واليهود، والنصارى، والمجوس»[(١)]، كما صرح بذلك ابن عربي[(٢)] الصوفي بقوله:

**لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي — إذا لم يكن ديني إلى دينه داني**
**لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ — فمرعى لغزلان وديرٌ لرهباني**
**وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ — وألواح توراةٍ ومصحفُ قرآن**
**أدين بدين الحبِّ أنَّى توجهت — ركائبه فالحب ديني وإيماني[(٣)]**

وكقول عبدالكريم الجيلي[(٤)]، وهو من أهل وحدة الوجود:

**وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى — ومالي عن حكم الحبيب تنازعُ**

---

(١) المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة، وطارق عبدالحليم ص٥٨ـ٥٩.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي ٥٦٠ـ٦٣٨، له كتاب الفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً، وله كتاب فصوص الحكم الذي قال عنه ابن كثير: «فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح». له تصانيف كثيرة، وله شعر، وكلام طويل على طريق التصوف. انظر البداية والنهاية ١٣/١٦٧.

(٣) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي د. موسى الدويش ص٧٤، والصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين ص٤٧٣، ودراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص١١٣، وانظر كتاب نظرات في معتقد ابن عربي د. كمال عيسى ص٤٢ـ٤٤، والشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة د. محمد بن حسين ص١٧٢.

(٤) هو عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي أو الجيلاني، توفي نحو سنة ٨٣٠هـ. انظر هذه هي الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل ص٤٣.

**فطوراً تراني في المساجد راكعاً    وأني طوراً في الكنائس راتعُ**

**إذا كنتُ في حكم الشريعة عاصياً    فإني في علم الحقيقة طائعُ**[(١)]

وكما قال أحدهم:

**أصبحت منفعلاً بما يختاره    مني ففعلي كله طاعاتُ**

وهذا المذهب من أخبث المذاهب، ولا يُشَك بكفر أصحابه، بل هو من أقبح أنواع الكفر.

قال شيخ الإسلام: «فإن من احتج بالقدر، وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور، والمحظور، والمؤمنين، والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية ـ لم يؤمن بأحد من الرسل، ولا بشيء من الكتب، وكان عنده إبليس وآدم سواء، ونوح وقومه سواء، وفرعون وموسى سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء»[(٢)].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبدالرحمن الوكيل ص٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/١٠٠.

## المبحث الخامس

## قول الأشاعرة في القدر

يرى جمهور الأشاعرة ومتأخروهم أن الله ـ عز وجل ـ خالق أفعال العباد فيثبتون مرتبتي المشيئة والخلق، ولكنهم يقولون: «إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله ـتعالىـ وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله ـسبحانهـ أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً؛ فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما؛ فيكون الفعل مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد.

والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له»(١).

فهم ـ إذاً ـ يرون أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـتعالىـ وهي كسب للعباد.

وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل.

وهذا قول جمهور الأشاعرة، وهو القول الذي شنع بسببه المعتزلة على الأشاعرة؛ لأنهم لما لم يثبتوا للعبد قدرة مؤثرة لم يكونوا بعيدين من قول الجبرية الجهمية؛ فهم أرادوا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية؛ **فجاءوا بنظرية الكسب**،

---

(١) شرح المواقف للزنجاني ص٢٣٧.

وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها ـكما مرـ تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير[١].

**ولهذا اشتهر المذهب الأشعري ـ بناءاً على مقالتهم تلك ـ بنظرية الكسب التي صارت علماً عليهم، فما معنى الكسب عندهم؟**

للكسب عندهم تعريفات أهمها:

١ـ أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به[٢].

٢ـ أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته[٣].

٣ـ أنه ما وجد بالقادر، وله عليه قدرة محدثة[٤].

ويضرب بعضهم للكسب مثلاً «في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك من كونه حاملاً.

كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه، وَوُجِدَ مقدوره؛ فوجوده على الحقيقة بقدرة الله ـتعالىـ

---

(١) انظر الروض الباسم لابن الوزير ٢/٢١، والروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ص٤٢، ولوامع الأنوار ١/٢٩١ـ٢٩٢، ومنهج الأشاعرة في العقيدة د.سفر الحوالي ص٤٣، والقضاء والقدر د.عبدالرحمن المحمود ص٣١١ـ٣١٦، والرد الأثري المفيد على البيجوري ص١٠٣ـ١٠٨.

(٢) الإنسان هل هو مسير أم مخير د. فؤاد عقلي ص١١.

(٣) شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص٢١٩.

(٤) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الحنبلي ص١٢٨.

ولا يخرج ـ مع ذلك ـ المُكْتَسبُ من كونه فاعلاً، وإن وجد الفعل بقدرة الله ـتعالى ـ»[(١)].

وهكذا تؤول هذه النظرية جبرية خالصة ـكما مرـ، ويبقى الخلاف بينهم وبين الجبرية خلافاً لفظياً بل طريقتهم أكثر غموضاً.

أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة عن فهمها فضلاً عن إفهامها غيرهم، ولهذا قيل:

**مما يقال ولا حقيقة تحته — معقولة تدنو إلى الأفهام**
**الكسب عند الأشعري والحال عند — البهشمي وطفرة النَّظَّام**[(٢)]

---

(١) أصول الدين للبغدادي ص١٣٣ـ١٣٤، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٣١٣.

(٢) المقصود بالكسب قد مر، وقوله: «الحال عند البهشمي»: البهشمي هو أبو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي رئيس معتزلة البصرة بعد أبيه توفي سنة ٣٢٧هـ.

**والمقصود بالحال أو الأحوال هي:** النسبة بين الصفة والموصوف، فيقولون: العالِم صفة، والعالِمية نسبة بين الصفة والموصوف، وهي عندهم معنى زائد على العلم، ومثله القادرية والفاعلية وغيرها.

ويقولون: إنها لا موجودة بذاتها، ولا معدومة، بل هي واسطة بينهما.

وبعبارة أخرى هي الصفات المعنوية التي انفرد بإثباتها أبو هاشم دون سائر المعتزلة مع نفيه لصفات المعاني، أي أنه ينفي العلم والقدرة والإرادة، ثم يُثبت كونه عالماً وقادراً ومُريداً.

وهذه «الكوكنة» هي الأحوال.

وهذا القول باطل، ولا فرق بين العلم والعالمية والقدرة والقادرية، وتفسيره للأحوال ممتنع؛ فهي لا وجود لها إلا في الأذهان لا الأعيان؛ لذلك يقال: من المحالات أحوال أبي هاشم. انظر الفرق بين الفرق ص١٤٥، والمعتزلة وأصولهم الخمسة د.عواد المعتق ص٧٥،والعقل والنقل عند ابن رشد، د.محمد أمان ص٥٢، والتوضيحات الأثرية على متن الرسالة التدمرية لفخر الدين المحيسي ص٢٤١.

=

وقد دار حول الكسب جدال طويل، ولم ينته الأشاعرة فيه إلى قول مستقيم[(١)].

ومن الأشاعرة من يرى أن الفعل واقع بقدرة العبد، وأن العبد له كسب، وليس مجبوراً، وهذا هو قول الباقلاني[(٢)].

---

**وقوله: وطفرة النَّظَّام:** النَّظَّام هو إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظام سمي بهذا لأنه كان ينظم الخرز في شبابه، وإليه تنسب فرقة النظامية من المعتزلة، ولد سنة ١٨٥هـ، وتوفي سنة٢٣١هـ.

وأما طفرته فهي قوله بالطفرة التي لم يسبق إليها، ومفادها دعواه أن الجسم قد يكون في المكان الأول ثم يصير منه إلى المكان العاشر من غير المرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر، ومن غير أن يصير معدوماً في الأول ومعاداً في العاشر. انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة د. عواد المعتق ص٥٩، ٥٦.

وبعبارة أخرى هي القول بأن الله خلق هذه الموجودات دُفعة واحدة على ما هي عليه الآن من نبات وحيوان، وجبال وبحار، ولم يتقدم خلقُ آدم على ذريته، غيرَ أن الله أكمل بعضها في بعض؛ فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهور هذه الموجودات في أماكنها دونَ حدوثها ووجودها.

وكان النظَّام متأثراً بأصحاب الكمون والظهور في الفلاسفة وهي طفرة لم يسبقه إليها أحد. انظر العقل والنقل عند ابن رشد، ص٥٢-٥٣.

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣١٣، ومنهج الأشاعرة في العقيدة ص٤٣٦، وباعث النهضة الإسلامية للهراس ص١٨٣-١٨٧.

(٢) هو محمد بن الطيب أبو بكر القاضي المعروف بالباقلاني، من كبار متكلمي الأشاعرة وفضلائهم، كان يثبت كثيراً من الصفات التي نفاها متأخرو الأشاعرة، ويُعد من علماء الأشاعرة الذين خطوا بالمذهب الأشعري خطوات كبيرة، ولد سنة ٣٣٨هـ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ، له عدد من الكتب منها: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، وإعجاز القرآن، والإنصاف.

انظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠، والأعلام ٧/٤٦.

يقول رَحِمَهُ اللهُ :« ويجب أن يعلم أن العبد له كسب ، وليس مجبوراً ، بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية؛ لأنه ـ تعالى ـ قال : ﴿لَهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ سورة البقرة : ٢٨٦ ، يعني من ثواب طاعةٍ ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ سورة البقرة : ٢٨٦ ، يعني من عقاب معصية.

وقوله : ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس ﴾ الروم :٤١ ، وقوله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سورة الشورى :٣٠ ، وقوله : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ سورة فاطر : ٤٥.

ويدل على صحة هذا أن العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبراً ، وسائر بدنه عند وقوع الهم به ، أو الارتعاش وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً إلى ذلك باختياره؛ فأفعال العباد هي كسب لهم ، وهي خلق الله ـ تعالى ـ فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق ، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق ، وكما لا يُقال لله ـ تعالى ـ إنه مكتسب ، كذلك لا يُقال للعبد : إنه خالق »[1].

---

(١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني ص٧٠ـ٧١.

## المبحث السادس

## قول الشيعة في القدر [(١)]

ليس للشيعة مذهب خاص بهم، وإنما أفردوا في هذا البحث لأن كثيراً منهم وممن يكتب عنهم يخطؤون في نقل مذهبهم في القدر؛نظراً لاختلاف متقدمي الشيعة عن متأخريهم.

وأفضل من وضح حقيقة مذهبهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد قال في معرض رده على صاحب «منهاج الكرامة» عند عرضه لمذهب أهل السنة والإمامية في الإمامة[(٢)]: «إن إدخال مسائل القدر والتعديل، والتجوير في هذا الباب كلام باطل من الجانبين؛ إذ كل من القولين قد قال به طوائف من أهل السنة

---

(١) تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان، ولذلك قيل شيعي؛ وعثماني فالشيعي من قدم علياً على عثمان، والعثماني من قدم عثمان على علي.

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط.

إلا أن التشيع لم يستمر على هذا النقاء والصفاء والسلامة والسمو بل إن مبدأ التشيع تغير فأصبحت الشيعة شيعاً، وصار التشيع قناعاً يستتر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين، وأصبحت الشيعة هي القسيم لأهل السنة حين انفردت بعقائدها وآرائها المخالفة للحق.

وأخيراً استوعبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية معظم آراء الشيعة واعتقاداتها وصار التشيع علماً عليها. انظر أصول مذهب الشيعة د.ناصر القفاري ١/٣١ـ٥٣ و٥٥، ومسألة التقريب للقفاري١/١٢٠.

(٢) انظر القضاء والقدر للمحمود. ص٣١٩ـ٣٢٠.

والشيعة؛ فالشيعة فيهم طوائف تثبت القدر، وتنكر مسائل التعديل والتجوير، والذين يقرون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فيهم طوائف تقول بما ذكره من التعديل والتجوير كالمعتزلة وغيرهم»[١]

ويقول: «ولكن هذه مسألة القدر، والنزاع فيها معروف بين المسلمين؛ فأما نفاة القدر ـ كالمعتزلة ـ وغيرهم، فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية.

وأما المثبتون للقدر، وهم جمهور الأمة وأئمتها، كالصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأهل البيت وغيرهم ـ فهؤلاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته، والظلم الذي يجب تنزيهه عنه، وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك»[٢]

«وهذا الكلام الدقيق الذي ذكره ابن تيمية يؤيده ما في كتب الشيعة، وما في كتب المقالات من بيان لمذهبهم في القدر.

وخلاصة أقوالهم أن متقدميهم منهم من يوافق أهل السنة، وفيهم من يوافق المعتزلة.

أما متأخروهم فأغلبهم معتزلة سواء كانوا رافضة، أو زيدية»[٣]

وأبوالحسن الأشعري رحمه الله ذكر في «مقالات الإسلاميين»: أن الرافضة اختلفوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة؟ على ثلاثة فرق:

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/١٢٧ـ١٢٨.

(٢) منهاج السنة١/١٣٤.

(٣) القضاء والقدر للمحمود. ص٣٢٠ـ٣٢١

«**فالفرقة الأولى منهم، وهو هشام بن الحكم**[(١)]: يزعمون أن أعمال العباد مخلوقة لله.

وحكى جعفر بن حرب عن هشام بن الحكم أنه كان يقول: إن أفعال الإنسان اختيار له من وجهٍ، اضطرار من وجه؛ اختار[(٢)] من جهة أنه أرادها واكتسبها، واضطرار من جهة أنها لا تكون منه إلا عند حدوث السبب المهيج عليها.

**الفرقة الثانية منهم:** يزعمون أنه لاجبر كما قال الجهمي، ولا تفويض كما قالت المعتزلة؛ لأن الرواية عن الأئمة ـ زعموا ـ جاءت بذلك، ولم يتكلفوا أن يقولوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة أم لا شيئاً.

**والفرقة الثالثة منهم:** يزعمون أن أعمال العباد غير مخلوقة لله، وهذا قول قوم يقولون بالاعتزال والإمامية»[(٣)]

ويعلق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على ما نقله الأشعري من أقوال الرافضة في القدر فيقول: «والمقصود أن الإمامية إذا كان لهم قولان كانوا متنازعين في ذلك؛ لتنازع سائر الناس.

لكنهم فرع على غيرهم في هذا أو غيره ؛ فإن مثبتيهم تبع للمثبتة، ونفاتهم

---

(١) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي الرافضي، من الشيعة الإمامية الذين غلوا في التجسيم، متكلم مناظر كان يقول بالجبر، توفي سنة ١٩٠هـ.

انظر الفرق بين الفرق ص٦٥، والملل والنحل ١/١٨٤، ومنهاج السنة ١/٤٥، والأعلام ٨/١٠٦.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب (اختيار).

(٣) مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري. ص٤٠ـ٤١

تبع للنفاة إلا ما اختصوا به من افتراء الرافضة؛ فإن الكذب والجهل والتكذيب بالحق الذي اختصوا به لم يشاركهم فيه أحد من طوائف الأمة.

وأما ما يتكلمون به في سائر مسائل العلم: أصوله وفروعه فهم فيه تبع لغيرهم من الطوائف يستعيرون كلام الناس، فيتكلمون به، وما فيه من حق فهو من أهل السنة لا ينفردون عنهم بمسألة واحدة صحيحة لا في الأصول ولا في الفروع؛ إذ كان مبدأ بدعة القوم من قوم منافقين لا مؤمنين»(١)

وهذا الكلام العلمي الدقيق الرصين العادل تشهد له كتب الشيعة نفسها؛ فهذا الشيخ المفيد(٢) يقول في أوائل المقالات في المذاهب المختارات: «أقول: إن الخلق يفعلون، ويُحْدثون، ويخترعون، ويصنعون، ويكتسبون، ولا أطلق عليهم القول بأنهم يَخْلُقون، ولا لها خالقون....

وعلى هذا القول إجماع الإمامية، والزيدية، والبغداديين من المعتزلة والمرجئة، وأصحاب الحديث»(٣)

ويقول محمد رضا المظفر ـ وهو شيعي معاصر ـ: «واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار ـ عليهم السلام ـ وأن الأمر بين الأمرين، والطريق الوسط بين

---

(١) منهاج السنة.٢/٢٢٩ـ٢٣٠

(٢) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي، يعرف بابن المعلم، ويلقب بالمفيد، محقق إمامي انتهت إليه رئاسة الإمامية في عهده ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤١٣. انظر الأعلام٧/٢٤٥.

(٣) أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ المفيد. ص٦٤ـ٦٥.

القولين الذي يعجز عن فهمه أمثال أولئك المجادلين من أهل الكلام، ففرط منهم أقوام، وأفرط آخرون....

فقد قال إمامنا الصادق ـ عليه السلام ـ لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة: «لاجبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين».

ما أجل هذا المغزى، وما أدق معناه، وخلاصته أن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة، ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله ـ تعالى ـ وداخلة في سلطانه»(١)

ويلحظ أن كلام المظفر هذا موافق لأهل السنة، مخالف لغيره من الشيعة.

أما الزيدية فهم ـ كما يقول د.عبد الرحمن المحمود ـ في الغالب معتزلة، وكبار المعتزلة منهم، والمذهب المعتزلي عُثر على كثير من تراثه عند الزيدية في اليمن مثل مؤلفات عبد الجبار الهمذاني، وغيرها.

يقول أحد أئمتهم وعلمائهم: «فصل:فإن قيل:أَرَبُّك عدل حكيم؟ فقل:أجَلْ؛ فإنه لايفعل القبح، ولا يخل بالواجب عليه من جهة الحكمة.

فإن قيل: هل ربك خلق أفعال العباد؛ فقل: لايقول ذلك ألا أهل الضلال والعناد»(٢).

(١) عقائد الإمامية محمد رضا المظفر ص ٦٧ـ٦٨.

(٢) كتاب العقد الثمين في معرفة رب العالمين ص٣٧ـ٣٨ للأمير الحسين بن بدر الدين محمد ابن أحمد بن يحي إمام العترة وعالم الزيدية ولد حوالي ٥٨٢ وتوفي ٦٦٢، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٥.

وخلاصة القول أن الشيعة عموماً فيهم من يقول بقول أهل السنة وإن كانوا في الغالب على مذهب المعتزلة، وهذا يكثر في الرافضة الزيدية خاصة المتأخرين منهم، علماً بأن المعتزلة يخالفون الشيعة في بعض المسائل كالإمامة.

وعلى هذا فمقالات الشيعة داخلة ضمن المقالات الأخرى التي سبق عرضها[1].

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٢٦، وانظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية عرض ونقد د.ناصر القفاري ٦٣٨/٢-٦٤٧ ، ومسألة التقريب د. ناصر القفاري ٣٣٤/١ ، والشيعة والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير ص٦٣و٦٦، والرد الكافي على مغالطات د. علي عبدالواحد وافي للشيخ إحسان إلهي ظهير ص٩٩، وبطلان عقائد الشيعة للشيخ محمد عبد الستار التونسوي ص٢٩، وانظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص٦٩، والموجز في الأديان المعاصرة د.ناصر العقل ود.ناصر القفاري ص١٢٤، والشيعة الإمامية الاثنا عشرية لربيع بن محمد السعودي ص١٩٠-١٩٣.

الفصل الرابع

# مناقشة أقوال الفرق

وتحته تمهيد، وثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** المناقشة الإجمالية لأقوال الفرق

**المبحث الثاني:** مناقشة قول المعتزلة القدرية

**المبحث الثالث:** مناقشة قول الجبرية

## تمهيد

قبل الشروع في مناقشة أقوال الفرق يحسن التنبيه على الأمور التالية:

١ـ أن الأقوال في القدر ترجع إلى قولي: القدرية والجبرية، وإن كان هناك بعض الاختلاف اليسير كنظرية الكسب عند الأشعرية.

٢ـ أن فهم القدر على الوجه الصحيح يغني عن كثرة التفصيل في الرد.

٣ـ أن تصور بعض الأقوال المخالفة في القدر كافٍ في الرد عليها؛ إذ فسادها يغني عن إفسادها.

٤ـ أن أدلة بعض الفرق تكفي في هدم بعضها بعضاً ـ في الغالب ـ(١).

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على اعتراف الرازي في آخر مصنفاته: «وأكثر الانتفاع بكلام هؤلاء هو فيما يثبتونه من فساد أقوال سائر الطوائف وتناقضها.

وكذلك كلام عامة طوائف المتكلمين؛ ينتفع بكلام كل طائفة في بيان فساد قول الطائفة الأخرى، لا في معرفة ما جاء به الرسول؛ فليس في طوائف أهل الأهواء والبدع من يعرف حقيقة ما جاء به الرسول، ولكن يعرف كل طائفة منه ما يعرفه، فليسوا كفاراً جاحدين به، وليسوا عارفين به». النبوات ٩٤٣/٢ تحقيق د.عبدالعزيز الطويان.

وقال في مجموع الفتاوى ٣١٤/١٢ في معرض حديث له عن تناقض أقوال المعتزلة والأشاعرة وأن كل فريق يرد أدلة الفريق الآخر: «وهذا أعظم ما يستفاد من أقوال المختلفين الذين أقوالهم باطلة، فإنه يستفاد من قول كل طائفة بيان فساد قول الطائفة الأخرى، فيعرف الطالب فساد تلك الأقوال، ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق، ولا تجد الحق إلا موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا تجد ما جاء به الرسول إلا موافقاً لصريح المعقول».

٥ـ أن كثيراً من أوجه الرد التي تبين بطلان هذه المذاهب قد مرت عرضاً في كثير من المباحث.

٦ـ وبناء على ما مضى فإن مناقشة الأقوال لن تطول وستتركز على قولي القدرية والجبرية.

المبحث الأول

## المناقشة الإجمالية لأقوال الفرق

**أولاً: جاءت أدلة الجبرية؛** لتثبت أن الله خالق أفعال العباد، وأن العباد لا قدرة لهم، بل هم مجبورون على أعمالهم.

وهذا فيه حق من جانب، وباطل من جانب، وأدلتهم تؤيد ما في مذهبهم من حق وهو أن الله خالق أفعال العباد.

أما دعوى الجبر فمردودة بالأدلة الأخرى التي استدل بها المعتزلة.

**ثانياً: جاء المعتزلة** ـ بالمقابل ـ بأدلة؛ لتثبت أن العباد خالقون لأفعالهم، وأن الله غير خالق لأفعال العباد.

وهذا ـ أيضاً ـ فيه حق وباطل؛ فإثبات أن العباد لهم إرادة ومشيئة داخلة تحت مشيئة الله، وأن أعمالهم هي أفعالهم حقيقة ـ هذا حق تؤيده أدلتهم.

وأما دعوى أن الله غير خالق لأفعال العباد فذلك باطل ترده أدلة الجبرية.

**ثالثاً:** كل دليل من أدلة الجبرية هو رد على أدلة المعتزلة القدرية، وكل دليل من أدلة المعتزلة القدرية هو رد على أدلة الجبرية.

لذلك حاول الأشاعرة أن يتوسطوا بين الفريقين، فقالوا: إن الله خالق أفعال العباد، وهي منهم كسب.

لكنهم ـ وإن قربوا أكثر من أهل السنة ـ لم يحالفهم التوفيق في مذهبهم هذا؛ لأنهم أثبتوا للعبد قدرة غير مؤثرة، وسموها كسباً؛ فمال مذهبهم إلى الجبرية

كثيراً.

**رابعاً:** أن المذهب الحق الذي يؤيده العقل، ومجموع الأدلة ـ هو خلاصة القول الحق في كل مذهب من هذه المذاهب[1].

(١) انظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٤٦ـ٣٤٧.

المبحث الثاني

## مناقشة قول المعتزلة القدرية [(١)]

**١ـ أن استدلالهم بالآيات التي تثبت المشيئة للعباد حق**، ولكن هذه الآيات وغيرها كثير يدل على إثبات المشيئة لله ـ عز وجل ـ.

فأدلتهم معارضة بأدلة الجبرية التي ساقوها لإثبات مشيئة الله.

ونحن نثبت للعبد مشيئة وإرادة يختار بها، وقدرة يفعل بها، ولكنها خاضعة لمشيئة الله وإرادته وقدرته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة التكوير :٢٨ـ٢٩

**٢ـ أن الآيات التي ساقوها في بيان أن العباد هم الذين يؤمنون، ويكفرون**، ويطيعون، ويعصون حق لا مرية فيه؛ فالعبد فاعل لفعله حقيقة.

ولكن ذلك لا يدل على استقلاله في الفعل؛ فالزعم بأنَّ ذلك يدل على أن لا يكون الله هو الخالق لأفعال العباد هو الباطل الذي نرده ونمنعه؛ لأنه لا تعارض بين الأمرين؛ فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم؛ فهي من الله خلق وإيجاد، وهي منهم فعل وكسب.

ولهذا يذمون على القبيح ويعاقبون، ويحمدون على الحسن ويثابون.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٦ـ٤٤٤، والقضاء والقدر للمحمود ص ٣٥٨ـ٣٦٤، ومنهج الإمام ابن العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية لعبدالله الحافي ص٣٢٢ـ٣٢٥.

**٣ـ أما استدلالهم بالآيات التي تدل على ترتيب الجزاء على الأعمال ـ** فإن ذلك قد ضلت فيه القدرية والجبرية، وهدى الله له أهل السنة؛ فإن الباء المنفية في قوله ﷺ: «واعلموا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله»[1] غير الباء المثبتة في قوله ـتعالىـ: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾سورة السجدة:١٧.

**فالأولى المنفية** هي باء العوض والثمنية وهي أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة كما زعمت المعتزلة؛ حيث يرون أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله.

وليس الأمر كذلك، بل برحمة الله وفضله.

**والثانية المُثْبَتة** هي الباء السببية؛ فالعاملون يدخلون الجنة بسبب أعمالهم، والله ـ عز وجل ـ خالق الأسباب والمسببات؛ فرجع ذلك كله إلى محض فضله ورحمته.

**٤ـ وأما استدلالهم بقوله ـ تعالى ـ ﴿صُنْعَ اللهِ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ سورة النمل:٨٨،** على أن أفعال العباد غير مخلوقة لله بحجة ما يقع منهم من الفساد والمخالفة فباطل؛ ذلك أن معنى الآية أن الجبال صنع الله ـتعالىـ وهو ـ سبحانه ـ أتقن كلَّ شيء، أي أتقن كلَّ ما خلق، وأحكمه، وأودع فيه من الحكمة ما أودع؛ ﴿إِنَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَفْعَلُوْن﴾ سورة النمل:٨٨، تعليلٌ لما قبلها من كونه صنع ما صنع، وأتقن كلَّ شيء.

**ومعناها:** أنه عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء.

---

(١) أخرجه مسلم بألفاظ متقاربة، وبوب عليه بقوله: «باب لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله، بل برحمة الله ـ تعالى ـ».

أما ما يقع من الكفر والمعاصي والقبائح فقد قدرها ـ سبحانه ـ أزلاً، ولو شاء ألا توجد ما وجدت.

والعباد هم الفاعلون لها، وهي منسوبة إليهم، وهي مخلوقة لله، ولكنه ـ عز وجل ـ لم يجبرهم عليها، وهم يدركون ذلك من أنفسهم.

والكفر، والتهود، والتنصر، والتمجس وإن كان غير متقن في ذاته، بل هو أعظم الباطل إلا أن الله شاءه لحكم عظيمة مرَّ شيءٌ منها عند الحديث عن الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها.

ووجه غلط المعتزلة القدرية وغيرهم في هذا الباب ـ كما مر ـ هو الخلط بين ما هو خلق لله ينسب إليه، وبين ما هو من مخلوقاته، أو بعبارة أخرى بين فعله ومفعولاته؛ فكونها مقدرة من الله فذلك خير، والله لا يفعل إلا الخير، والشر ليس إليه ـ عز وجل ـ لأن فعلَه حكمة، وعدل، ورحمة، ولكنها شر من جهة وقوعها من البشر.

وهذا ما تقرر عند الحديث عن نسبة الشر إلى الله ـ عز وجل ـ.

قال ابن حزم[1] رحمه الله: «ومن زعم أن الله ـ تعالى ـ لم يخلق أعمالنا فقد ألحد؛ إذ

---

(١) هو الإمام المشهور أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤ـ٢١٢.

قال عنه الذهبي رحمه الله: «وأن لي مَيْلٌ إلى أبي محمد، عجبته في الحديث الصحيح ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه، وسعة علومه». سير أعلام النبلاء ١٨/٢٠١ـ٢٠٢.

قد ردَّ قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ ﴾ سورة الأنعام:١٠١، فزعم أن أشياء كثيرة لم يخلقها الله ـ عز وجل ـ وهذا تكذيب للقرآن»(١).

**وبالجملة فإنَّ مذهب القدرية باطل في الشرع، والعقل والفطر السوية؛** ولهذا لم يستطع منطق القدرية أن يقف في مجال الحجاج مع عوام أهل السنة فضلاً عن علمائهم(٢).

---

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص٣١٠.

(٢) ولهذا تذكر كتب العقيدة وغيرها قصصاً ومحاورات مع القدرية ومما يذكر من القصص في هذا الصدد ما يلي:

أـ قال الطوفي رحمه الله: «قال عيسى بن يونس: حدثني جار لي يقال له واصل، قال: اختصم قدري وحروري ومرجئ، فقال كل منهم: ديني أصوب من دينكما؛ فتراضوا أن يحكم بينهم أول من يستقبلهم؛ فاستقبلهم أعرابي على قعود له، فذكروا له اختلافهم في أديانهم، وقالوا له: قد تراضينا بأول من نلقاه أن يحكم بيننا؛ فكنت أنت.

فأناخ الأعرابي بعيره، ثم أخذ كساءاً كان تحته، فطواه، ثم جلس عليه، وقال لهم: اجلسوا بين يدي، ثم قال للحروري: ما تقول أنت؟ قال: أزعم أن كل من عصى الله ـ عز وجل ـ فقد كفر، واسْتُحلَّ دمُه.

فقال له: أنت رجل سوء؛ تَحْظُر على العباد ما وسع الله عليهم من التوبة، تَنَحَّ.

ثم قال للقدري: ما تقول أنت؟ قال: أزعم أن ما عمل العباد من خير فمن الله، وما عملوا من شر فليس لله ـ تعالى ـ فيه قضية ولا مشيئة.

فقال: أنت أكفر من هذا؛ تزعم أن الله ـ تعالى ـ يريد شيئاً من العباد فلا يعملونه، ويعمل العباد شيئاً لا يريده؛ تَنَحَّ.

ثم للمرجئ: ما تقول أنت؟ قال: أزعم أنَّ من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن لا يضره عَمِلَ أو لم يعمل.

=

= فقال الأعرابي: ما في الثلاثة أكفر منك؛ حيث تشهد لهذين أنهما مؤمنان».

ب ـ يروى أن أعرابياً أضل ناقته، فجاء إلى عمرو بن عبيد ـ وهو من أكابر القدرية ـ فقال: أيها الشيخ: إن ناقتي قد سرقت؛ فادع الله أن يردها علي.

فرفع عمرو بن عبيد يديه، وقال: «اللهم إن ناقة هذا سُرِقتْ ولم تُرِدْ أن تسرق؛ فأمسك الأعرابي يديه، وقال: الآن ضاعت ناقتي يا شيخ، قال له: ولِمَ؟ قال: لأنه إذا أراد ألا تسرق فسرقت فلا آمن أن يريد رَدَّها فلا تُرَدْ؛ فوجم عمرو بن عبيد، ولم يجد جواباً». شرح جواب ابن تيمية في قصيدته التائية في القدر للطوفي، مخطوط ص٦، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٣٩/٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠، والقصيدة التائية في القدر لابن تيمية شرح وتحقيق محمد بن إبراهيم الحمد ص٤٨ـ٥٠.

جـ ـ وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في تأويل مختلف الحديث ص٧٨ :«بلغني أنَّ رجلاً من أصحاب الكلام قال لرجل من أهل الذمة: ألا تُسْلِم يا فلان! فقال: حتى يريد الله ـ تعالى ـ فقال: قد أراد الله، ولكنَّ إبليس لا يَدَعُك، فقال الذمي: فأنا مع أقواهما».

د ـ دخل القاضي عبدالجبار الهمذاني ـ أحد شيوخ المعتزلة ـ على الصاحب بن عباد، وعنده أبوإسحاق الاسفراييني ـ أحد أئمة السنة ـ فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي: أيشاء ربُنا أن يُعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربُنا قهراً؟ قال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أم أساء؟ قال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء، فبُهت القاضي عبدالجبار»، انظر هامش شرح العقيدة الطحاوية ٢٥١، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ٢٨٦ـ٢٨٧، وانظر كتاب القدر للفريابي ففيه قصص ومحاورات كثيرة مع القدرية، وانظر حزَّ الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر لابن الحاج القفطي ص٣١، وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ١١٧/١ـ١١٩.

المبحث الثالث

## مناقشة قول الجبرية

**١ ـ أن الآيات التي استدلوا بها على أنَّ الله خالق كلِّ شيء ـ دلالتها حق.**

ولكن أنَّى لهم أن يثبتوا أن العبد غير قادرٍ ولا مريدٍ ولا فاعلٍ بمشيئته وقدرته ومن أين يفهم من الأدلة التي ساقوها أن العبد ليس هو الفاعل حقيقة، أو أن أفعاله ليست قائمة به؟!

فليس لدى الجبرية دليل صحيح ينفي أن يكون العباد فاعلين لأفعالهم، بل غاية أدلتهم أنها تثبت أن الله خالق، وهذا حق لا يُنكر.

**٢ـ أن استدلالهم بآيات المشيئة، وأنها تثبت المشيئة لله وحده ـ حق.**

ولكن الآيات نفسها وغيرها كثير تدل على إثبات المشيئة للعباد؛ ولذلك استدل بها المعتزلة على مذهبهم.

وبناء على ذلك فكل من الجبرية والمعتزلة ترد أدلتهم أدلة الطرف الآخر، وبمجموع تلك الأدلة يتبين الحق، وهو إثبات المشيئة للعباد، وكونها واقعة بمشيئة الله تابعة لها.

**٣ـ أما استدلالهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾** سورة الأنفال:١٧، وما جرى مجرى هذه الآية، وزَعْمُهم أن ذلك نص في أنَّ الإنسان لا قدرة له ولا إرادة ـ فذلك جهلٌ وضلال.

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ ....﴾ الآية، خطاب للمؤمنين في وقعة بدر؛ حيث أنزل الله ملائكته فقتلوا أعداءه، فلم ينفرد المسلمون بقتلهم، بل قتلتهم الملائكة.

وكذلك لما أخذ الرسول ﷺ حفنة من تراب، فرمى بها وجوه المشركين؛ فما

من المشركين أحدٌ إلا وأصاب عينيه وفمَه ومنخريه ترابٌ من تلك القبضة، فولوا مدبرين، فقال ـ تعالى ـ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾.

فأثبت للرسول الرمي وهو الحذف والإلقاء.

أما إيصال ما رمى إلى الوجوه مع بعدها عنه، وإيصال ذلك إلى وجوههم جميعاً ـ فلم يكن من فعله، ولكنَّه فعلُ الله وحده.

٤ـ **أما دليلهم العقلي** فهو مردود بأن تعلق علم الله وإرادته بأفعال العباد لا يجعلهم مجبورين في أفعالهم؛ لأن علمَ الله أزلاً بأفعالهم، وبأنَّ العبدَ يختارها ـ ليس سلباً لاختيار العبد، وإنما هو محقِّق لاختياره.

وهذا معلوم عند كافة العقلاء.

كما أنَّ تعلقَ قدرته ـ سبحانه ـ بوجودها لا ينافي أن تكون أفعال العباد واقعة بقدرتهم، وأنهم الفاعلون لها.

وبالجملة فكما أنَّ مذهب القدرية المعتزلة مخالفٌ للشرع والعقل والفطرة فكذلك مذهب الجبرية[1].

ولهذا وردت حكايات عن الجبرية تبين أن المعاند في القدر، والقائل في الجبر

---

(١) انظر في مناقشة قول الجبرية في القدر إلى شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٦ـ٤٣٨، وانظر القضاء والقدر للمحمود ص٣٤٧ـ٣٥٤، وانظر منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة ص٣٢٠.

مغلوب، وحجته داحضة، بل ربما صار أضحوكة لمن قرأ عنه، أو سمع له[١].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب طريق الهجرتين ص١٥٧ـ١٥٨، متحدثاً عن بعض أحوال من يقولون بالجبر: «صعد رجل على سطح دار له، فأشرف على غلام يفجر بجاريته، فنزل، وأخذهما؛ ليعاقبهما، فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك.

فقال: لَعِلْمُك بالقضاء والقدر أحب إلي من كلِّ شيء، أنت حرٌّ لوجه الله!!

ورآى آخر يفجر بامرأته، فبادر؛ ليأخذه فهرب، فأقبل يضرب المرأة، وهي تقول: القضاء والقدر.

فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟

فقالت: أَوَتركتَ السنة، وأخذت بمذهب ابن عباس؟ فتنبه، ورمى بالسوط من يده، واعتذر إليها، وقال: لولاكِ لضللتُ!!».

هذا وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في كتابه الدرة البهية عدداً من الأمثلة التي تكشف مسألة القضاء والقدر، ومن تلك الأمثلة: قصة الرجل الجبري، حيث قال فيها: «كان رجل قد غلا في الجبر والقدر غلوّاً عظيماً، فكان يعتذر بالقدر عند كل جليل وحقير، حتى آلت به الحال إلى الاستهتار، وانتهاك أصناف المعاصي، وكلما نُصح وليم على أفعاله، جعل القدر حجة له في كل أحواله

وكان له صاحب يعذله، وينصحه عن هذه المقالة التي تخالف العقل، والنقل، والحس، ولا يزيده العذل إلا إغراءً، وكان صاحبه ينتظر وينتهز الفرصة في إلزامه بأمور تختص به، وتتعلق.

وكان هذا الجبري صاحبَ ثروة، له أموال منوعة، وقد وكل عليها الوكلاء، والعَمَلَة، فصادف في وقت متقارب أن جاءه صاحبُ ماشيته، فقال: إن الماشية هلكت، وتلفت جميعُها؛ لأني رعيتها في أرض مجدبة، ليس فيها عود أخضر.

فقال له: وعملت ذلك وأنت تعلم أن الأرض الفلانية مخصبة، فما عذرك في ذلك؟ فقال: قضاء الله وقدره، وكان ممتلئاً غضباً قبل ذلك، فزاد غضبه من هذا الكلام، واستشاط غضبه، وكاد يتقطع من هذا الاعتذار.

وجاءه صاحب البضائع، فقال: إني سلكت هذا الطريق المخوف، فاقتطع المال قُطَّاعُ الطريق، فقال له: كيف تسلك هذا الطريق المخوف ـ مع علمك أنه مخوف ـ وتترك الطريق الآمن الذي لا تشك في أمنه؟

=

= فأجابه بمثل جواب الراعي للماشية، وعمل معه الجبري ما عمله مع صاحبه.

ثم جاء وكيله على تربية أولاده، وحفظهم، فقال: إني أمرتهم أن ينزلوا في البئر الفلانية؛ ليتعلموا السباحة فغرقوا، فقال: لم فعلت ذلك وأنت تعلم أنهم لا يحسنون السباحة؟ والبئر المذكورة تعلم أن ماءها غزير؟ فكيف تتركهم ينزلون وحدهم وأنت لست معهم؟

فقال: هكذا قضاء الله وقدره.

فغضب عليه غضباً لا يشبه الغضب على الأولين، وكاد الغضب أن يقتله، وكل واحد من هؤلاء الذين وكلهم على ما ذكرنا يزداد غضبه عليه إذا قال له: هذا قضاء الله وقدره، فحينئذ قال له صاحبه: يا عجباً لك يافلان! كيف قابلت هؤلاء المذكورين بهذا الغضب البليغ، ولم تعذرهم حين اعتذروا بالقدر، بل زاد هذا الاعتذار في جرمهم عندك، وأنت مع ربك ـ في أحوالك المخجلة ـ قد سلكت مسلكهم، وحذوت حذوهم؟!

فإن كان لك عذر ـ فهم من باب أولى أعذر وأعذر، وإن كانت أعذارهم تشبه التهكم والاستهزاء فكيف ترضى أن تكون مع ربك هكذا؟!

فانتبه الجبري حينئذٍ، وصحا بعدما كان غارقاً في غلوه، وقال: الحمد لله الذي أنقذني مما كنت فيه، وجعل لي موعظةً وتذكيراً من هذه الوقائع التي وقعت لي، ولمست فيها غلطي الفاحش، والآن: أعتقد أن ما حصل لي من نعمة الهداية إلى الحق أعظم عندي من هذه المصائب الكبيرة، كما تحققت في قوله ـتعالىـ: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦. انظر الدرة البهية شرح القصيدة التائية، في حل المشكلة القدرية ص٦٣ـ٦٥.